١



التخصيص اللفظي في تفسير الطبري

د. عقيل بن سالم الشمري



الأستاذ المساعد في القرآن وعلومه
بجامعة حفر الباطن

• حصل على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود بالرياض، بأطروحته (الدعاة غير الأنبياء في القرآن الكريم).
• حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود بالرياض، بأطروحته (التفسير بالقول المحتمل منزلته وأثره في البيان).

E : ageel0001@gmail.com



الملخص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من يقرأ تفسير الطبري يلفت انتباهه إثارته لبعض الأسئلة على الآيات، ومنه:

- سبب تخصيص السمع والبصر دون سائر الجوارح في: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ﴾.
- وسبب تخصيص المشرق والمغرب دون سائر الجهات في: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾.
- وسبب تخصيص النخيل والأعناب من بين سائر النبات في: ﴿جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾.

فكان **موضوع بحثي**: **(التخصيص اللفظي عند الطبري)**.

وتتلخص **أهداف البحث**: في إيضاح معنى التخصيص اللفظي، وبيان أسباب التخصيص اللفظي عند الطبري، واستكشاف مواقف المفسرين من تخصيصات الطبري للفظ القرآني.

وكان **منهج البحث**: التحليلي المقارن الذي يقوم على تحليل كلام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومِن ثَمَّ مقارنة غيره به.

وأهم نتائج البحث: أن التخصيص اللفظي من أبواب التدبر، ومن أوجه إعجاز القرآن، وللتخصيص اللفظي أسباب عند الطبري أهمها: مراعاة سياق الآيات، ووجود الخبر الصحيح المخصص، ومراعاة حال المخاطبين، وموضوع الآيات.

وتنتهي **توصيات البحث**: بالتوصية بدراسة موضوع التخصيص اللفظي في كتب التفسير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الكلمات المفتاحية: التخصيص – اللفظي – تفسير – الطبري.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن الله أنزل كتابه المبين معجزًا بالفصاحة والبيان، وشَمَل إعجازه لفظه ومعناه، ولهذا استسلم الناس أمام أعظم تحدٍّ مفتوح إلى قيام الساعة في قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن صور الإعجاز والبلاغة القرآنية أن يكون للكلمة القرآنية مكان لا يقوم غيرها مكانها ولا يسدُّ خُلّتها، وأدق من ذلك أن يكون للكلمتين المتجاورتين مكان أكثر تناسبًا من غيره، حتى أن المتمرس على قراءة القرآن ليدرك أنه بتأمل الكلمة الثانية تنكشف له أسرار الكلمة الأولى، وبتدبر أول الكلمة ينكشف له سرٌّ من وراء الكلمة الثانية المجاورة لها.

وقد أُمرنا بتدبر القرآن الكريم والتأمل في معاني ألفاظه الباهرة، ومما يدخل في التدبر أن يُعمل القارئ نظره في سبب تخصيص بعض ألفاظ القرآن دون غيرها مما يشاركها في المعنى العام، فمثلًا:

- ما سبب تخصيص السمع والبصر في قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠]؟

- وما سر تخصيص مُلك الله للمشرق والمغرب في قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾؟ [البقرة: ١١٥] مع أن الله سبحانه يملك كل شيء؟

- كذلك ما سبب تخصيص النخيل والأعناب من بين سائر النبات في قوله تعالى:

﴿فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾؟ [المؤمنون: ١٩] ؟

– ولِمَ خُصَّ الأمر بالبيان للذين يعلمون في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ؟

– وما سبب تخصيص الوجه بالاستسلام في قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠] مع أن الاستسلام لله مطلوب في جميع الجوارح؟

وإن إعمال الفكر في سبب تخصيص هذه الألفاظ لا يكون إلا بالتدبر والتأمل، وذلك بالنظر تارة إلى ذات اللفظ ودلالاته في اللغة، وأحيانًا يلزم القارئ أن يطالع سياق الآيات ليتبين مواقع التخصيص، وأحيانًا لا يكتفي بذلك حتى يراجع بلمحة إلى السابق واللاحق من الآيات ليستكشف سبب التخصيص، بل أحيانًا لا يظهر له سبب التخصيص إلا بمعرفة موضوع السورة ومحورها، ولهذا كان من الضروري أن يقف القارئ طويلًا حول سبب تخصيص اللفظ القرآني، وأن يحمله على أدق الأوجه وأقربها للإعجاز والبيان اللغوي.

ولم يألُ مفسرونا رحمهم الله جهدًا في بيان حِكَم وأسرار تخصيص بعض الألفاظ القرآنية، وعلى رأسهم المفسر الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولهذا رأيت أن أُخصص بحثي عن اجتهادات الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التخصيص اللفظي لألفاظ القرآن من خلال ما يلي:

موضوع البحث:

فالبحث يتناول التخصيص اللفظي في تفسير الإمام الطبري.

مشكلة البحث:

جاء هذا البحث لبيان المسائل التالية:

١ـ ما المراد بالتخصيص اللفظي في القرآن الكريم؟

٢ـ ما أسباب التخصيص اللفظي عند الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره؟

٣ـ ما موقف المفسرين مما ذكره الطبري من تخصيص اللفظ؟

حدود البحث:

يتناول البحث التخصيص اللفظي في تفسير الإمام الطبري من غير استقصاء لجميع الأمثلة، وإنما سأقتصر على بعض التخصيصات اللفظية خاصة تلك التي فيها خلاف بين الطبري وغيره من المفسرين.

أهداف البحث:

يهدف البحث لتحقيق الأمور التالية:

١ـ إيضاح معنى التخصيص اللفظي.

٢ـ الخروج برؤية واضحة لبيان أسباب التخصيص اللفظي عند الطبري.

٣ـ استكشاف مواقف المفسرين من تخصيصات الطبري للفظ القرآني.

منهج البحث:

بحثي يقوم على ركيزتين هما:

١ـ كلام الطبري وتحليله: وهذا سأقتصر به على تفسير الطبري؛ حيث اخترت عددًا من النماذج؛ وكان ضابطي في الاختيار أن يكون الطبري وجه سؤالًا صريحًا عن سبب التخصيص في الآية الكريمة بقوله: «ما سبب تخصيص قوله.. ».

٢ـ المقارنة بكلام المفسرين: وهذا سأقتصر على التفاسير التي تهتم بذكر التخصيصات اللفظية كتفسير ابن عطية والماوردي وتفسير البغوي وتفسير القرطبي والرازي والخازن وأبي السعود والكشاف والبحر المحيط ونظم الدرر للبقاعي والتحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور.

سأستخدم المنهج التحليلي المقارن الذي يقوم على تحليل كلام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومِن ثَمَّ مقارنة غيره به للوصول للنتائج المرجوة من أهداف البحث، واعتمدت في التوثيق على المنهج المعتمد في قواعد نشر المجلة، كما رتبتُ المراجع ترتيبًا ألفبائيًا مراعيًا (ال) التعريفية.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على بحث سابق لموضوع التخصيص اللفظي عند أحدٍ من المفسرين.

خطة البحث:

يقع البحث في **مقدمة وخاتمة**، وبينهما مباحث:

المبحث الأول: التخصيص اللفظي عند الطبري وعلاقته بالعلوم الشرعية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الإمام الطبري.

المطلب الثاني: التخصيص اللفظي في العلوم الشرعية.

المطلب الثالث: تعريف التخصيص اللفظي.

المبحث الثاني: ثمرة البحث في التخصيص اللفظي في التفسير.

المبحث الثالث: نماذج التخصيص اللفظي في تفسير الإمام الطبري.

المبحث الرابع: أسباب التخصيص اللفظي عند الطبري.

الخاتمة:

وفيها بيان أسباب التخصيص اللفظي عند الإمام الطبري والتوصيات المقترحة.

وأخيرًا:

أسأل الله أن يرحم الإمام الطبري وجميع علمائنا، وأن يجعلنا ممن يكمل مسيرة العلم من بعدهم، وأن يختم لنا بخير وعلى خير، وأن يمن على بلادنا الأمن والإيمان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المبحث الأول

التخصيص اللفظي عند الطبري

وعلاقته بالعلوم الشرعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترجمة الإمام الطبري

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، وعلى هذا الرأي جمهور المحققين من أهل الأنساب[١]، وقد أدرك الطبري عصر الدولة العباسية الذهبي وعصر نفوذ الأتراك، أما الحياة العلمية في عهد الطبري فهي حياة حافلة بالتصنيف والرواية، فيها دونت أهم أقوال المذاهب الأربعة، ووصلت القراءات إلى حد بعيد من التأليف[٢].

وقد تتلمذ على عدد من الشيوخ منهم:

هناد بن السري[٣]، وأحمد بن منيع البغوي[٤]، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب[٥].

ومن تلاميذه: القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف[٦]، وأبو إسـحاق بن

(١) انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (٣/ ٣٣٢).
(٢) انظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، محمد بك (ص٢٢٩).
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١١/ ٤٦٥).
(٤) المصدر السابق (١١/ ٤٨٣).
(٥) المصدر السابق (١١/ ١٠٣).
(٦) المصدر السابق (١٥/ ٥٤٤).

إبراهيم بن حبيب الطبري[١]، وأبو الفرج المعافَى بن زكريا النهرواني[٢].

رحل الطبري من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة؛ فلم يزل طالبًا للعلم مولَعًا به إلى أن مات، فقيهًا عالِمًا بالسنن وطرقها [٣]، ونقل الخطيب البغدادي نقلًا حول سعة اطلاعه في التفسير[٤]، وتوفي الإمام الطبري في بغداد سنة ٣١٠هـ، وعمره ست وثمانون سنة[٥].

المطلب الثاني: التخصيص اللفظي في العلوم الشرعية

العلوم الشرعية تتكامل في موضوعاتها، ومن تلك الموضوعات التخصيص، وحيث أن بحثي يتناول التخصيص اللفظي في تفسير الطبري، فيتبادر إلى الذهن سؤال حول الفرق بين التخصيص عند المفسرين وعند الأصوليين وعند البلاغيين؟

التخصيص عند البلاغيين:

التخصيص عند البلاغيين[٦] يُعنى به:

تخصيص شيءٍ بشيءٍ بعبارة كلاميّةٍ تدلُّ عليه، ويقال في تعريفه أيضًا: جعْلُ شيءٍ مقصورًا على شيءٍ آخر.

وهو بهذا المعنى يوافق القصر، ولهذا يجعلونه على نوعين:

النوع الأول: أن يكون جميع ما سوى المقصور عليه، ويسمَّى عند البلاغيين: قصرًا حقيقيًّا، مثل: "لا إله إلاَّ الله" أي: لا يُوجَدُ في الوجود كُلّه معبودٌ بحقٍ سوى الله ﷻ.

---

(١) انظر: الفهرست، ابن النديم (ص٣٢٨).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٦/ ٥٤٤).
(٣) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي (٢/ ١٦٣).
(٤) انظر: المصدر السابق.
(٥) انظر: المصدر السابق (٢/ ١٢٦).
(٦) انظر: البلاغة العربية، حبنكة الميداني (١/ ٥٢٣).

النوع الثاني: أن يكون المقصور عنه شيئًا خاصًّا يُرادُ بالْقَصْر بيانُ عَدَم صحَّةِ ما تصوَّرَهُ بشأنه أو ادَّعاهُ المقصودُ بالكلام، مثل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فالموضوع الخاصّ الذي يدور الكلام حوله هو كون محمّدٍ رسولًا مبرَّءًا من أن يكون عرضةً للموت، فجاء النصّ مبيّنًا قَصْرَهُ علَى كونه رسولًا فقط، والمقصورُ عنه أمْرٌ خاصٌّ هو كونه لا يموت، لا سائر الصفات غير صفة كونه رسولًا، إذْ له صفات كثيرة لا حصر لها، وهي لا تدخل في المقصور عنه[١].

فنلاحظ أن التخصيص عند البلاغيين يتجه للفظ ذاته، فمثلًا في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] تبحث كتب البلاغة في سبب تخصيص لفظ الحمد دون لفظ الثناء والمدح مثلًا، وليس هذا ما يبحثه المفسر في التخصيص اللفظي.

التخصيص عند الأصوليين:

عرفه الشنقيطي بقوله: قَصْر العام على بعض أفراده بدليل يدل على ذلك[٢].

ويجعلون له نوعين، ولكل نوع أدوات خاصة للتخصيص، ومن ذلك:

التخصيص المتصل وأدواته: الاستثناء والشرط والصفة والغاية وبدل البعض من الكل.

والتخصيص المنفصل وأدواته: الحس والعقل والإجماع والمفهوم.

فنلاحظ أن التخصيص عند الأصوليين يتجه لتحديد فرد من أفراد العام، أي أن لدينا خطابًا عامًا لكن المخصص يُخصّص فردًا من بين أفراد هذا العام ويُعلّق عليه الحكم الشرعي.

(١) انظر: البلاغة العربية، حبنكة الميداني (١/ ٥٢٤).
(٢) مذكرة أصول الفقه، الشنقيطي (ص٢٠٩).

فمن المهم ملاحظة أن الخطاب ورد عامًّا يستوعب جميع الأفراد التي تدخل تحت لخطاب، ثم يأتي التخصيص فيُخرج بعض أفراد ذلك العام ويبقى ما عداه مرادًا باللفظ.

التخصيص في علوم القرآن:

أقرب باب من أبواب علوم القرآن للتخصيص اللفظي هو باب المناسبات والمرادُ بهذا العلمِ: بيان وجهِ ارتباطِ اللفظةِ أو الآية أو السورةِ، أو غيرِها مما يحكيه العلماء من أنواع المناسباتِ(١).

إلا أن فرقًا لطيفًا بين التخصيص اللفظي ومناسبة اللفظ للآية؛ إذ ذكر المناسبة يقتضي بالضرورة وجود ارتباط بين اللفظة القرآنية والآية، بينما في التخصيص اللفظي يكون ذهن المفسر منصبًا على إيجاد سبب لذكر هذه اللفظة دون مثيلاتها مما يشاركها.

وقد يتفقان – المناسبة والتخصيص- حينما يكون سبب تخصيص هذه اللفظة هو وجود ارتباط بالآية، فمثلًا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

فتخصيص المشرق والمغرب من بين سائر الجهات هنا بسبب أنهما ملك له سبحانه، وهذا إعلام منه عباده المؤمنين أن له ملكَهُما ومِلكَ ما بينهما من الخلق، وأن على جميعهم إذ كان له ملكهم طاعته فيما أمرهم ونهاهم، وفيما فرض عليهم من الفرائض، والتوجه نحو الوجه الذي وُجِّهوا إليه، إذْ كان من حكم المماليك طاعة مالكهم، فأخرج الخبر عن المشرق والمغرب، والمراد به من بينهما من الخلق(٢).

فهنا اجتمع التخصيص والمناسبة فيُقال:

مناسبة ذكر لفظ المشرق والمغرب للآية لأن اللفظين يدلان على ملك ما بينهما.

(١) أنواع التصنيف المتعلقة بعلوم القرآن، الدكتور مساعد الطيار (ص١١٠).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢/ ٥٢٦-٥٣٣).

وسبب تخصيص المشرق والمغرب من بين سائر الجهات؛ لأن ذكر المشرق والمغرب يطلق ويراد به ملك ما بينهما.

وقد يُقال أن من الفروق:

إذا كانت الكلمة لها مشتركات يشتركن معها في نفس الجهة فإن ذكر اللفظة القرآنية يكون من باب التخصيص اللفظي، وأما إن لم يكن لها ما تشترك معه فيكون ذكرها من باب المناسبة، فمثلًا: قوله تعالى: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

ذكر الوجه في الآية من باب التخصيص لوجود أشياء أخرى تشترك مع الوجه وهي أعضاء الجسم الأخرى؛ فيقال: ما سبب تخصيص الوجه من بين سائر أعضاء الجسم؟

أما ذكر الاستسلام في الآية فمن باب المناسبة؛ فيُقال: ما مناسبة ذكر الاستسلام في الآية.

التخصيص في كتب التفسير: وستأتي له أمثلة في ثنايا البحث.

المطلب الثالث: تعريف التخصيص اللفظي

سأتناول التعريف مفردًا ثم مركبًا، كما هو المنهج المعتمد عند أهل العلم رحمهم الله.

تعريف التخصيص لغةً:

خصّه بالشيء يَخُصّه خَصًّا وخُصوصًا وخصّصَه واخْتصّه أي: أَفْرَدَه به دون غيره[١]، والفتح فيه أفصح[٢]، والتخصيص لا يعني التقليل فالعرب تقول: خَصَّه بكذا أي: أَعْطاه شيئًا كثيرًا[٣].

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٧/ ٢٤) مادة (خ ص ص).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (٣/ ١٠٣٧) مادة (خ ص ص).

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٧/ ٢٤) مادة (خ ص ص).

تعريف اللفظ لغةً:

اللفظ أصله: الرمي[١] يقال: لفظ الشيء من فمه إذا رماه، ومن هذا الباب سُميت الألفاظ ألفاظًا؛ إذ إن المتكلم باللفظ كأنه يرمي[٢].

تعريف التخصيص اللفظي مركبًا:

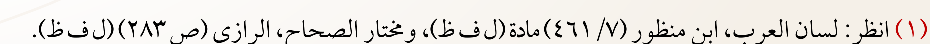
لم أجدًا تعريفًا مركبًا يبين حدود التخصيص اللفظي عند المفسرين، ولهذا سأجتهد بناء على بيان المعنى اللغوي وطريقة المفسرين في تخصيص الألفاظ.

فبالنظر للتعريفين السابقين نقول في تعريف التخصيص اللفظي في القرآن الكريم مركبًا هو: اجتهاد المفسر في بيان سبب إفراد اللفظة القرآنية بالذكر من بين مثيلات لها.

وبعد بيان التعريف يتولد السؤال التالي:

هل لهذا الفن فائدة على التفسير وعلوم القرآن؟

وسيكون جوابه في المبحث التالي.



(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور (٧/ ٤٦١) مادة (ل ف ظ)، ومختار الصحاح، الرازي (ص ٢٨٣) (ل ف ظ).

(٢) ونسجل على المعنى اللغوي فائدة تربوية هي: مراعاة الإنسان لألفاظه إذ إنها مراميه التي يرمي بها.

المبحث الثاني

ثمرة البحث في أسباب التخصيص اللفظي في التفسير

يتبين أهمية كل فنٍ من خلال استعراض فوائده وثمرته التي يرجى تحقيقها من وراء ذلك الفن، وفي هذا المبحث سأُبيِّن فائدة بحث المفسرين لأسباب تخصيص الألفاظ القرآنية، وهي كما يلي:

١. فتح آفاقٍ في تدبر القرآن:

إذ إن التدبر يرتكز على النظر والتأمّل في معنى الآية، ومن جملة ما يتأمّل المفسر فيه هو سبب ورود لفظ معيَّن دون غيره مما يشاركه في النوع.

قال ابن القيم متدبرًا سبب تخصيص قوم ثمود في سورة الشمس دون سائر الأمم: «وقد يظهر في تخصيص ثمود ههنا بالذكر دون غيرهم معنى آخر وهو أنهم ردُّوا الهدى بعد ما تيقَّنوه، وكانوا مستبصرين به قد ثلجت له صدورهم واستيقظت له أنفسهم، فاختاروا عليه العمى والضلالة، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] أي: موجبة لهم التبصرة واليقين، وإن كان جميع الأمم المهلكة هذا شأنهم، فإن الله لم يهلك أمة إلا بعد قيام الحجة عليها لكن خُصَّت ثمود من ذلك الهدى والبصيرة بمزيد، ولهذا لما قرنهم بقوم عاد قال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ثم قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، ولهذا أمكن عادًا المكابرة وأن يقولوا لنبيهم: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]. ولم يمكن ذلك ثمود وقد رأوا البينة عيانًا وصارت لهم بمنزلة رؤية الشمس والقمر، فردوا الهدى بعد تيقنه والبصيرة التامة



فكان في تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق ولم يتبعه، وهذا داء أكثر الهالكين، وهو أعم الأدواء وأغلبها على أهل الأرض»[١].

فالتفكير في بيان السبب الذي لأجله خُصَّ هذا اللفظ دون غيره يُثري التدبر.

٢. توسيع ما يشمله تفسير الآية عند المفسرين:

فالإمام بدر الدين الزركشي حينما عرَّف التفسير قال: هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها.

وزاد فيها قومٌ فقالوا: علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها[٢].

فنلاحظ اتساع معنى التفسير عنده، ويمكننا أن نُضيف إليه: ومعرفة سبب تخصيص ألفاظه.

٣. إضافة علم لعلوم القرآن في باب المناسبات:

العلوم المرتبطة بالقرآن علوم كثيرة، ولم يَدر في خلَد من أَلَّف في علوم القرآن أن يحدوها بعدد معين، فقال السيوطي – بعد ما عدَّد جملة من علوم القرآن: «إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها»[٣].

ومن تلك العلوم علم المناسبات؛ وهو علم متعدد الجهات؛ ومنها: علم التخصيص اللفظي لعلوم القرآن، ويُبحث فيه عن أسباب تخصيص القرآن لألفاظ معينة.



---

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (ص٢٦-٢٧).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ١٤٨).

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ١٦).

ولا يعني إضافة علم أن المتقدمين لم يتكلموا عنه، فنحن نجمع هذا العلم من كتب التفسير إلا أن الجديد هو جمعه تحت باب واحد ودراسته.

٤. تعظيم حكمة الله الحكيم في كلامه:

فحكمة الله تقتضي أن تثبت الحكمة لله في كلامه وألفاظه، فكل كلمة قرآنية لا يقوم غيرها مقامها، وبدراسة الألفاظ التي خُصِّصت في القرآن يدرك المؤمن حكمة ربه في ذكر هذا اللفظ دون غيره فيزداد إيمانًا وتعظيمًا لله، «لأن كلام الحكيم يحتوي على مقاصد جليلة ومعاني غالية»[(١)].

٥. إضافة براهين على إعجاز القرآن الكريم:

القرآن مُعْجز في ألفاظه وأسلوبه، والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية[(٢)].

وبيان التخصيص اللفظي وذكر أسباب إفراد الكلمة القرآنية دون غيرها مما يشاركها في النوع، كتخصيص المشرق والمغرب مثلًا، وتخصيص الوجه دون سائر أعضاء البدن يزيد اللفظة القرآنية إعجازًا.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ١٩).
(٢) مباحث في علوم القرآن، القطان (ص٢٧٠).

المبحث الثالث

نماذج التخصيص اللفظي في تفسير الإمام الطبري

وقفت على ستة عشر أنموذجًا في تفسير الطبري، وهي:

النموذج الأول:

قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا سبب تخصيص السمع والأبصار بالذهاب: «وإنما خَصَّ -جلَّ ذكره- السمع والأبصار بأنه لو شاء أذهبها من المنافقين، دون سائر أعضاء أجسامهم، للذي جرى من ذكرها في الآيتين، أعني قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ وقوله:﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ ﴾ فجرى ذكرها في الآيتين على وجه المثل»[(١)].

تحليل كلام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سؤال الإمام الطبري يتعلق بسبب تخصيص لفظ السمع والأبصار في الآية دون سائر أعضاء الجسم، وجواب الطبري يتضمن ما يلي:

١ـ أن تخصيص لفظ ﴿بِسَمْعِهِمْ﴾ بسبب ورود لفظ السمع في الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ فمراعاة للسياق ونسَق الكلام ناسب تخصيص الذهاب للسمع، فكأن المعنى: كان المنافقون يجعلون أصابعهم في أذانهم بسبب الصواعق، ولو شاء الله لذهب بسمعهم، فتناسق الكلام على مسار واحد.

وفيه وجه آخر، وهو أن المنافقين المضروب فيهم المثل كانوا إذا سمعوا الرعد والصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم خشية الموت، فبيَّن الله أن ذلك غير نافعٍ لهم،

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١/ ٣٨١).

فيما لو أراد الله أن يذهب بسمعهم، فغير مُجدٍ لهم وضع الأصابع في الأذان أمام عذاب الله إذا نزل.

٢- وتخصيص لفظ ﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ﴾ بسبب ورود لفظ الأبصار في أول الآية، وهي قوله ﴿يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ﴾ فمراعاة لسياق الـمَثَل ناسب تخصيص الأبصار دون سائر الجوارح، فكأن المعنى:

يكاد البرق يخطف أبصارهم، ولو شاء الله لذهب بأبصارهم. ولا يليق في هذا المقام إلا ذكر البصر.

النتيجة:

أن مراعاة سياق الآيات من أسباب تخصيص اللفظ في القرآن ليكون أكثر نَسقًا وملاءمة.

هذا ما ذكره الإمام الطبري، فلننظر الآن إلى غيره من المفسرين ونقارنه بما سبق.

أما البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فله رأي مغاير حيث يقول: «﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ﴾ أي بأسماعهم ﴿وَأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ الظَّاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة، وقيل: لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزلة السمع وَالبصر»[١].

فتخصيص اللفظ بالسمع والأبصار عند البغوي له متعلقان:

١- لَّما أذهب الله سمعهم وبصرهم في الباطن، حيث لم ينتفعوا بالوحي والهدى، ناسب أن يذكر الله ذهاب أسماعهم وأبصارهم الحسية الظاهرة، فيكون التناسب بين المعنى المجازي والحقيقي.

٢- أن المراد بذهاب السمع والبصر هو ذهاب العز والأمان، فكأن البغوي جعل العز بمنزلة السمع؛ لأن الشخص العزيز لا يزال يسمع الثناء والمدح والفخر، وجعل الأمان بمنزلة البصر؛ إذ الأمان يقتضي نوم العين وهدوءها، فعند الإمام

(١) انظر: معالم التفسير في تنزيل القرآن، البغوي (١/ ٧١).

البغوي ناسب ذكر السمع والبصر ليناسب تهديدًا لهم بذهاب وتغيّر حالهم.

أما الوجه الثاني ففيه تكلّف ظاهر لا يليق بوضوح القرآن وترابط معانيه أولها مع آخرها، وأما الوجه الأول ففيه لفتةٌ لطيفة، وله احتمال يناسب حال المنافقين.

وأما ابن عطية فوافق الطبري بسبب تخصيصه فقال: «وخُصَّ الأسماع والأبصار لتقدم ذكرها في الآية»[١].

وأما الإمام القرطبي فيوافق الطبري على ما ذكره، ويزيد عليه احتمالًا آخر في التخصيص اللفظي فيقول: «وخُصّ السمع والبصر لتقدم ذكرهما في الآية أوّلًا، أو لأنهما أشرف ما في الإنسان»[٢].

وشرف السمع والبصر عائد إلى أنهما أكثر الأعضاء يعتمد عليها الإنسان في حياتيه اليومية، وعلى هذا الوجه يكون تخصيص السمع والبصر تهديدًا للمنافقين بذهاب أشرف ما فيهم مما يعتمدون عليه في حياتهم، وهذا وإن كان له وجه حسنٌ في ذكر الشرفية إلا أن التخصيص لأجل سبق ذكرهما أولى ليكون الكلام أكثر اتساقًا.

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

أثار الطبري سؤالًا عن سبب تخصيص وقود نار جهنم الناس والحجارة فقال: «فإن قال قائل: وكيف خُصَّت الحجارة فقُرنت بالناس حتى جُعلت لنار جهنم حطبًا؟ قيل: إنها حجارة الكبريت، وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حرًّا إذا أُحميت»[٣].

تحليل كلام الطبري:

بالنظر للتساؤل الذي أثاره الطبري عن سبب تخصيص وقود النار بالناس

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١/ ١٠٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٢٢٤).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١/ ٤٠٣).

والحجارة نجد الأمور التالية:

١ـ أنه اقتصر على سبب تخصيص الوقود بالحجارة.

٢ـ لم يذكر الطبري سبب تخصيص الوقود بالناس، وذلك لكون النار أُعدت لهم بخلاف الحجارة.

٣ـ اعتمد الطبري على الآثار في سبب التخصيص ولهذا قال: «فيما بلغنا» وهذا يدل على أن التخصيص اللفظي لألفاظ القرآن إنما يقوم على دليلٍ معتبر، وآثار السلف من أقوى الأدلة.

٤ـ سرد الطبري لمجموعة من الآثار في بيان سبب تخصيص الحجارة يدل على أن السلف تكلَّموا في التخصيص اللفظي لألفاظ القرآن.

٥ـ الآثار التي أوردها الطبري تدل على أن سبب التخصيص اللفظي للفظة الحجارة هو أنها حجارة من كبريت تكون أشد ما يكون حرارةً إذا أُحميت في النار، وقد جاء هذا عن عدد من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس وأُناسٌ من الصحابة آخرون[١].

النتيجة:

أن الخبر الصحيح من أسباب التخصيص اللفظي عند الطبري.

ولننظر الآن لما قرّره علماء التفسير ونقارنه بما ذكره الطبري، ونبدأ بالزمخشري حيث ذكر وجهًا مغايرًا لما قرره الطبري فقال: «فإن قلت: لِـمَ قرن الناس بالحجارة وجُعلت الحجارة معهم وقودًا؟ قلت: لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا، حيث نحتوها أصنامًا وجعلوها لله أندادًا أو عبدوها من دونه، قال اللهَّ تعالى: ﴿إِنَّكُمْ



(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١/ ٦٤)، وابن جرير (١/ ٤٠٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٩٠٢٦) والحاكم برقم (٣٠٣٤، ٣٨٢٧) وصححه وقال: على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، ويُشكل عليه أن عبد الرحمن بن سابط من رجال مسلم دون البخاري، كما ذكره الذهبي، فهو على شرط مسلم وحده. انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (١/ ٦٢٨)، ت: ٣١٩٨.

﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه»[١].

وما ذكره الزمخشري متوجِّه في عُبَّاد الأصنام إلا أنه لا يتوجَّه لغيرهم.

والقرطبي وافق الطبري على تخصيصه وزاد عليه بيان سبب اختلاف حجارة الكبريت بقوله: «وخُصَّت بذلك لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب: سرعة الاتِّقاد، نتن الرائحة، كثرة الدخان، شدة الالتصاق بالأبدان، قوة حرها إذا حميت»[٢].

وأما الرازي فقرر ما ذكره الزمخشري من كون الحجارة قُرنت بالناس لكونهم عبدوها في الدنيا من دون الله، ثم قال: «وقيل: هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل، بل فيه ما يدل على فساده؛ وذلك لأن الغرض هاهنا تعظِيم صفة هذه النار، والإيقاد بحجارة الكبريت أمر معتاد، فلا يدل الإيقاد بها على قوة النار، أمَّا لو حملناه على سائر الأحجار دلَّ ذلك على عظم أمر النار، فإن سائر الأحجار تُطفأ بها النيران، فكأنه قال: تلك النيران بلغت لقوتها أن تتعلق في أول أمرها بالحجارة التي هي مطفئة لنيران الدنيا»[٣].

وبالتأمل لكلام الرازي نستنبط ما يلي:

١. أنه رد القول بأنها حجارة الكبريت؛ لأنه بغير دليل.

٢. ذكر أن القول بأنها حجارة الكبريت فاسد؛ لأن الغرض من الآية تعظيم صفة النار، والإيقاد بحجارة الكبريت أمر معتاد.

٣. قرر أن الأحجار تُطفأ بها النيران، ولعظم نار جهنم فإن النار تتعلق بها دون انطفاء.

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (١/ ١٠٣).
(٢) انظر: الجامع في أحكام القرآن، القرطبي (١/ ٢٧٦).
(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٢/ ٣٥٣).

أما الوجه الأول: فإن الدليل ثبت عن جمعٍ من الصحابة بأن المراد بها حجارة الكبريت، كما مضى بيانه، ولعل من المناسب بيان أن ما ذكره الرازي يدل على تَمَيُّز التفسير بالمأثور عن التفاسير التي تنقل الآراء.

وأما الوجه الثاني: فلا ينفي تعظيم نار جهنم؛ إذ إن ما في جهنم لا يُقاس بما في الدنيا، وليس مجرد كون الأمر معتادًا نافيًا للتهويل والوعيد، مع أن في الإيقاد بحجارة الكبريت ما ليس في الإيقاد بالحجارة المعتادة؛ فالكبريت أشد اشتعالًا وأكثر حرارةً وأقوى التصاقًا.

وأما الوجه الثالث: فلا يُسَلَّم على إطلاقه؛ إذ الأحجار لا تُطفأ بها النيران غالبًا، وغايتها أنها ليس من قبيل الضد للنار، وما كان كذلك فأنواعه كثيرة ليست مقتصرة على الحجارة.

وأبو حيان لم يُبدع في ذكر سبب تخصيص الحجارة، لكنه أبدع في سبب تقديم الناس على الحجارة فقال: «وقدَّم الناس على الحجارة لأنهم العقلاء الذين يدركون الآلام والمعذَّبون، أو لكونهم أكثر إيقادًا للنار من الجماد؛ لما فيهم من الجلود واللحوم والشحوم والعظام والشعور، أو لأن ذلك أعظم في التخويف، فإنك إذا رأيت إنسانًا يحرق اقشعرّ بدنك وطاش لبُّك، بخلاف الحجر»[(١)].

وذلك ما لم يذكره من سبقه فيما وقفتُ عليه من التفاسير.

وأما الخازن فذكر وجهًا واحدًا للتخصيص حيث قال: «لأنها أكثر التهابًا»[(٢)].

وهو بذلك يوافق الطبري، إلا أنه اختار كثرة اللهب لكونه أبرز صفات حجارة الكبريت.

النموذج الثالث:

قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن

(١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١/ ١٧٦).
(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (١/ ٣٢).



يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [البقرة: ٩٠].

قال الإمام الطبري مبينًا سبب تخصيص العذاب بكونه مهينًا للكافرين مع أن كل عذاب فهو مهين، فقال: «﴿مُّهِينٞ﴾ هو: المذل صاحبه المخزي الملبسه هوانًا وذلةً، فإن قال قائل: أَي عذاب هو غير مهين صاحبه فيكون للكافرين المهين منه؟ قيل: إِن المهين هو الذي قد بينَّا أنه المورث صاحبه ذلةً وهوانًا، الذي يخلد فيه صاحبه، لا ينتقل من هوانه إلى عز وكرامة أبدًا، وهو الذي خصَّ اللهَّ به أهل الكفر به وبرسله»[(١)].

تحليل كلام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سؤال الإمام الطبري عن سبب تخصيص عذاب الكافرين بكونه مهينًا، مع أن كل عذابٍ فهو مهينٌ لصاحبه يورثه الذُّل، وجواب الطبري يتضمن:

١- أن لفظ ﴿مُّهِينٞ﴾ يأخذ معنى ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ الذي جاء في الآيات الأخرى؛ إذ إن الإهانة هنا تقتضي ملازمة الهوان وعدم الانتقال إلى العز والكرامة، وهذا يتناسب مع عذاب الكافرين لأنهم خالدون في النار، فكان من المناسب لذكر الكافرين ذكر الإهانة.

٢- استنبط الإمام الطبري من ذكر الإهانة أن هناك عذابًا غير مهينٍ لصاحبه، وهو عذاب الله للمؤمنين؛ إذ هو تمحيص وكفارة لمن شاء الله عذابه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الذي هو غير مهين صاحبه فهو ما كان تمحيصًا لصاحبه، وذلك هو كالسارق من أهل الإسلام يسرق ما يجب عليه به القطع فتقطع يده، والزاني منهم يزني فيُقام عليه الحد، وما أشبه ذلك من العذاب، والنكال الذي جعله الله كفارات للذنوب التي عُذِّب بها أهلها، وكأهل الكبائر من أهل الإسلام الذين يُعذَّبون في الآخرة

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢/ ٢٥٤).



بمقادير أجرامهم التي ارتكبوها ليُمَحَّصوا من ذنوبهم ثم يدخلون الجنة، فإن كل ذلك وإن كان عذابًا فغير مُهين من عُذِّب به، إذ كان تعذيب الله إياه به ليمحِّصه من آثامه، ثم يورده معدن العز والكرامة ويخلده في نعيم الجنان»[١].

فأصبح لا يليق بهذه الآية إلا ذِكرُ الإهانة مع عذاب الكافرين.

النتيجة:

أن مراعاة عوامل أخرى خارج الآية من أسباب تخصيص اللفظ في القرآن ليكون القرآن متشابهًا مع بعضه البعض، فما قرره الله من وعيد المؤمنين أكَّدته هذه الآية بمضمونها من كون عذابهم لا إهانة فيه، إنما هو تمحيص وتطهير.

ولننظر الآن إلى ما دوَّنه علماء التفسير ونقارنه بما سطره الطبري، رحم الله الجميع.

أما الماوردي وابن عطية والقرطبي والبيضاوي أبو حيان، فقد وافقوا الإمام الطبري على لطيفته[٢].

وأما الزمخشري فلن يذكر لطيفة الطبري؛ لأن مذهبه الاعتقادي الاعتزالي ينفي خروج العصاة من المؤمنين بعد عذاب الله[٣]، ولهذا قال عند آية مشابهة لهذه الآية (مهين): «يذهب بعزهم وكبرهم»[٤]، والزمخشري هنا كعادته في كثير من لطائفه يراعي كوامن النفس البشرية[٥]، إلا أن ما ذكره من ذهاب معاني العزة يَتَأَتَّى مع ذكر العذاب، فالعذاب كافٍ في ذهاب العزة، إذ مجرد العذاب للعزيز إهانة له، فنلاحظ

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢/ ٢٥٤).

(٢) انظر: النكت والعيون، الماوردي (١/ ١٥٩)، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١/ ١٧٩)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ٣٠)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (١/ ٩٤)، وتفسير البحر المحيط، أبو حيان (١/ ٤٧٤).

(٣) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، ابن أبي الخير (٣/ ٦٨٨).

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٤/ ٤٨٩).

(٥) كما قرره الدكتور محمد محمد أبو موسى في كتابه: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري (ص٩ وما بعدها).

أن لطيفة الزمخشري ناقصة في إتمام التخصيص اللفظي لكلمة (مهين) الواردة في الآية الكريمة.

وأما الرازي فعلى جلالة قدره في اللطائف إلا أنه أخفق في هذه اللطيفة فقال: «فإن قيل: العذاب لا يكون إلا مع الإهانة فما الفائدة في هذا الوصف؟ قلنا: كون العذاب مقرونًا بالإهانة أمر لا بد فيه من الدليل، فالله تعالى ذكر ذلك ليكون دليلًا عليه»(١).

فالرازي -رحمه الله وعفا عنه- يرى أن الإهانة لا تُنسب للعذاب؛ إذ الإهانة عنده لا تصدر إلا ممن يعقل، والعذاب معنًى لا يُنسب له عقل من عدمه، فلما نسب الله له الإهانة عرفنا أن العذاب هنا يُهين ويصح نسبة الإهانة له.

ولا شك أن هذا سبب ضعيف بعيد، إذ صيغ كلام العرب تنسب الإهانة للعذاب ويُفهم منه أن ذلك وصفٌ قائم بالعذاب، وما ذكره الرازي لا ينفتح به باب التخصيص، ولا ينحل به الإشكال.

أما الطاهر بن عاشور رحمه الله فقال في سبب تخصيص الإهانة مع ذكر العذاب: «والمهين المذل، أي فيه كيفية احتقارهم»(٢).

فعند ابن عاشور أن سبب ذكر الإهانة لبيان الاحتقار لهم، فاجتمع لهم العذاب والاحتقار، فلئن كان بعض المُعَذَّبين يُرحم، فإن هؤلاء الكفار محتقَرون، وهذه لفتة لطيفة من ابن عاشور إلا أنها دون ما ذكره الطبري رحمه الله إذ قد يُقال بأن العذاب فيه احتقار بمضمونه، والله أعلم.

النموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٣/ ٢٠٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٦٠٦).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا سبب تخصيص المشرق والمغرب لله، مع أن الله يملك كل شيء، فقال: «فإن قال: أو ليس وإن كان تأويل ذلك ما ذكرت، فلله كل ما دونه، الخلق خلقه!»[١].

ثم ذكر أقوال مفسري السلف عن سبب التخصيص[٢]، ثم قال: «والصواب من القول في ذلك أن الله تعالى ذكره إنما خَصَّ الخبر عن المشرق والمغرب في هذه الآية بأنهما له ملكًا، وإن كان لا شيء إلا وهو له ملك، إعلامًا منه عباده المؤمنين أن له ملكَهُما ومِلكَ ما بينهما من الخلق، وأن على جميعهم إذ كان له ملكهم طاعته فيما أمرهم ونهاهم، وفيما فرض عليهم من الفرائض، والتوجُّه نحو الوجه الذي وُجهوا إليه، إذْ كان من حكم المماليك طاعة مالكهم. فأخرج الخبر عن المشرق والمغرب، والمراد به من بينهما من الخلق، على النحو الذي قد بيَّنت من الاكتفاء بالخبر عن سبب الشيء من ذكره والخبر عنه، كما قيل: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] وما أشبه ذلك، ومعنى الآية إذًا: ولله ملك الخلق الذي بين المشرق والمغرب، يتعبدهم بما شاء، ويحكم فيهم ما يريد عليهم طاعته، فولُّوا وجوهكم - أيها المؤمنون - نحو وجهي، فإنكم أينما تولوا وجوهكم فهنالك وجهي»[٣].

تحليل كلام الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سؤال الإمام الطبري عن سبب تخصيص لفظ (المشرق والمغرب) في الآية والجواب عنه يدل على عدة أمور:

١. دقة الإمام الطبري في عنايته في لطائف التخصيص اللفظي؛ إذ لم يهمل هذا اللفظ، مع أنه واضح المعنى في ظاهر الآية.

---

(١) معنى العبارة: فلله كل ما دونه من المخلوقات، فالخلق جميعًا خلقه.

(٢) ذكر الطبري خمسة أقوال للسلف في الآية ثم استنبط منها سبب تخصيص اللفظ، وفي هذا دليل على أن علم اللطائف ينبغي أن يقوم على منهجية منضبطة، وذلك بربطه بتفسير السلف.

(٣) انظر: جامع البيان عن آي القرآن، الطبري (٢/ ٥٢٦-٥٣٣).

٢- ذكر الطبري خمسة أقوال للسلف في تفسير ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وملخصها كما يلي:

القول الأول: أنه لما حُوِّلت القبلة استنكرت اليهود ذلك، فبين الله أن لله المشرق والمغرب، وهذا القول نلحظ فيه قضية مهمة في لطائف التخصيص اللفظي هي: أن فيه إشعارًا بأن الآية ردٌّ على اليهود، كما أنه يُفسر المشرق والمغرب بمشرق الشمس ومغربها على الحقيقة، ففي القول استعانةٌ بسبب النزول، وهذا يدل على أن لطائف التخصيص اللفظي لها ارتباط بعلم أسباب النزول، فمن خلال أسباب النزول نستطيع اكتشاف مخصص لفظي.

القول الثاني: أن الآية معنيٌّ بها النبي ﷺ والمؤمنون معه قبل أن يؤمروا بالتوجُّه للقبلة، فأمرهم الله بالتوجُّه إلى أي اتجاه.

القول الثالث: أن الآية يُراد بها صلاة التطوع، حيث يجوز للمصلي أن يتجه إلى أي اتجاه ولَّت له راحلته، وهذا بعيدٌ عن سياق الآية وسبب نزولها، إلا أنه يُراد به تعميم حكم الآية في أمرٍ جاءت به سنة النبي ﷺ، فعلى هذا الوجه لا بأس به، وبالتالي نستطيع أن نستنبط حكم فقهي من دلالة لطيفة مخصص لفظي[(١)].

القول الرابع: أن الآية يُراد بها مَن صلَّى وتحَرَّى القبلة فلم يهتدِ إليها، وهذا كسابقه.

القول الخامس: أن المراد بها الدفاع عن النجاشي حين قيل بأنه لم يُصلِّ إلى القبلة، وهذا ضعيف الدليل[(٢)].

وبعد سرد الطبري للأقوال اختار ما يتعلق بمعنى الآية مما سبق ذكره.

النتيجة:

أن مراعاة المراد من الآية – وهو أمرٌ زائد عن المعنى[(٣)]– من أسباب تخصيص

(١) المراد تأييد حكم من الأحكام الفقهية بمفهوم مخصص لفظي، وهذا للاستئناس، إذ إن العلماء مختلفون في دلالة المفهوم وحجيتها وقوتها، وموضع ذلك كتب أصول الفقه.

(٢) انظر كلام المحقق على: جامع البيان عن آي القرآن، الطبري (٢/ ٥٣٣).

(٣) إذ إن معنى المشرق: هو مكان شروق الشمس، والمغرب: مكان غروبها، والمراد من اللفظين ما بينهما.

اللفظ في القرآن عند الطبري، وذلك لتكون الآية الكريمة أكثر إعجازًا وأشد رونقًا والتئامًا.

ولننظر الآن إلى ما دَوَّنه علماء التفسير في هذا التخصيص ونقارنه بما ذكره الطبري رحم الله الجميع.

أما ابن عطية فقد ربط تخصيص اللفظ بالمشرق والمغرب مراعاة لسبب النزول مباشرة فقال: «وخصَّهما بالذكر وإن كانت جملة المخلوقات كذلك؛ لأن سبب الآية اقتضى ذلك»[١].

فابن عطية صرَّح هنا بأن سبب النزول من أسباب التخصيص اللفظي في ألفاظ القرآن.

والقرطبي وأبو حيان ذكرَا أن الإضافة هنا للتشريف كبيت الله وحرم الله[٢]، وزاد أبو حيان بالأوجه النحوية فجعل في الآية محذوفًا يدل عليه السياق وهو: ولله أهل بلاد المشرق وأهل بلاد المغرب[٣]، وهذا جارٍ على عادة النحويين في الأوجه الإعرابية.

وأما قولهم بإضافة التشريف، فليست الإضافة هنا متمحِّضةً؛ إذ إنها للاختصاص أقرب منها للإضافة، بدلالة وجود حرف التمليك (اللام) في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ﴾ وهذا يختلف عن قولنا: (المشرق لله).

وأما الطاهر بن عاشور فقد بيَّن سبب التخصيص بقوله: «فالمراد من المشرق والمغرب في الآية تعميم جهات الأرض؛ لأنها تنقسم بالنسبة إلى مسير الشمس قسمين: قسم يبتدئ من حيث تطلع الشمس، وقسم ينتهي في حيث تغرب، وهو

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١/ ٢٠٠).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢/ ٧٧)، والبحر المحيط، أبو حيان (١/ ٥٣٠).

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١/ ٥٣٠).

تقسيم اعتباري كان مشهورًا عند المتقدمين»[١].

فهو يوافق الطبري على أن المراد جميع ما بين المشرق والمغرب، ويزيد الوضوح في سبب تخصيص المشرق والمغرب في دلالته على ملكية الخلق دون غيرهما من الجهات.

النموذج الخامس:

قوله تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٩].

قال الإمام الطبري مبيِّنًا سبب تخصيص الجنات بنوعي النخيل والأعناب دون سائر الثمار: «وخصّ -جل ثناؤه- الجنات التي ذكرها في هذا الموضع، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب دون وصفها بسائر ثمار الأرض؛ لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قَرُب منها، فكانت النخيل لأهل المدينة، والأعناب لأهل الطائف، فذكَّر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من ثمارها»[٢].

تحليل كلام الطبري:

سؤال الإمام الطبري عن سبب تخصيص ذكر الجنات بهذين النوعين من الأشجار ثم إجابته كل ذلك يدل على مراعاة حال المخاطبين وبيئتهم، ليكون ذلك أدعى لسرعة استجابتهم لأمر الله ﷻ، فإن المخاطب حينما تُذكِّره بأمر يشاهده ويراه يكون أوقع في قلبه.

النتيجة:

أن مراعاة حال المخاطبين من أسباب تخصيص اللفظ في القرآن، وذلك لأن

(١) انظر التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٦٨٢).

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٩/ ٢١).



الكتاب العزيز كتاب هداية، فكل ما يُساهم في إيصال الهداية للناس كان مناسبًا تخصيصه في الذكر.

والآن ننظر لكلام علماء التفسير على تخصيص هذا اللفظ.

أما ابن عطية فذكر كلام الطبري موافقًا له، ثم زاد عليه فقال: «وذكر تعالى النخيل والأعناب؛ لأنها ثمرة الحجاز بالطائف والمدينة وغيرهما، قاله الطبري، ولأنها أيضا أشرف الثمار، فذكرها مثالًا تشريفًا لها وتنبيهًا عليها» [١] وقد تابعه القرطبي[٢].

وذِكرُ التشريف التي نصَّ عليها ابن عطية ليست كافية في تخصيص اللفظ؛ إذ إنها لا تقضي على سؤال التخصيص، فحتى مع ذكر التشريف يبقى السؤال مطروحًا: لِمَ شُرِّفَت النخيل والأعناب؟ فيكون ما ذكره الطبري أسَدَّ جوابًا وأليَقَ بمعنى الآية.

وقد اتفقت كلمة المفسرين على أن كثرة منافع النخيل والأعناب على سائر الأشجار من أسباب تخصيص اللفظ بها، وإن اختلفت عباراتهم:

فالماوردي قال: «وخُصَّت بالذكر لكثرة منفعتها وقلة تعاهدها»[٣].

والرازي قال: «فإنهما يقومان مقام الطعام ومقام الإدام ومقام الفواكه»[٤].

أما الطاهر بن عاشور فقد أبدع كعادته في استنباط اللطائف اللفظية فقال: «وما ذُكر هنا من أصناف الشجر الثلاثة هو أكرم الشجر وأنفعه ثمرًا، وهو النخيل والأعناب والزيتون، والفواكه جمع فاكهة، وهي الطعام الذي يُتَفَكَّه بأكله، أي يُتلذَّذ بطعمه من غير قصد القوت، فإن قُصد به القوت قيل له طَعام، فمن الأطعمة

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٤/ ١٣٩).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/ ١١٣).
(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٤/ ٥٠).
(٤) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٢٣/ ٢٦٩).

ما هو فاكهة وطعام، كالتمْر والعِنب، لأنه يُؤكل رطبًا ويابسًا، ومنها ما هو فاكهة وليس بطعام، كاللوز والكمثرى، ومنها ما هو طعام غير فاكهة كالزيتون، ولذلك أخَّر ذكر شجرة الزيتون عن ذكر أخويها؛ لأنه أريد الامتنان بها في ثمرتها من التفكُّه والقوت، فتكون مِنَّة بالحاجيِّ والتحسينيِّ»[1].

فعند الطاهر بن عاشور أن سبب تخصيص اللفظ بالنخيل والأعناب يرجع لأمرين:

١- كونها أكرم الشجر وأنفعه ثمرًا، وهذا يتوافق مع ما ذكره ابن عطية.

٢- لتشمل الآية القوت الحاجيَّ والتحسيني، فالحاجي هو النخيل والأعناب.

وهذا إبداع في التدقيق في اللفظ القرآني يليق بمقام الطاهر المتبحِّر في فنون البلاغة، ويزيد على ما ذكره الطبري، إذ إنه راعى الآية كاملة، وعمَّم حكمها على جميع المخاطبين، ولم يقصرها على أهل الحجاز وما قاربها على حدِّ تعبير الطبري.

وبهذا نجد أن الفرق بين الطبري وغيره من المفسرين في تخصيص هذا اللفظ أن الطبري راعى حال المخاطبين بالقرآن، بينما نظر غيره إلى مميزات النخيل والأعناب، فيكون الطبري أكثر اتساقًا مع خطابات القرآن.

النموذج السادس:

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

قال الإمام الطبري في سبب تخصيص أمر الله لنبيه، بالبيان للقوم الذين يعلمون دون الذين يجهلون ودون سائر الناس، فقال: «خصَّ القوم الذي يعلمون بالبيان دون الذين يجهلون، إذ كان الذين يجهلون أنها من عنده قد آيس نبيّه محمدًا، من

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٨/ ٣٣).

تصديق كثير منهم بها، وإن كان بيَّنها لهم من وجه الحجة عليهم ولزوم العمل لهم بها، وإنما أخرجها من أن تكون بيانًا لهم من وجه تركهم الإقرار والتصديق به»[١].

تحليل كلام الطبري:

سؤال الإمام الطبري عن سبب تخصيص البيان للذين يعلمون دون غيرهم، ثم إجابته التي تقوم على أن الذين يعلمون هم المصدقون بها، وأما الذين لا يعلمون فالنبي ﷺ يُبيِّنها لكن على وجه لزوم الحجة لهم وليس على وجه التصديق؛ إذ هذه الآية الكريمة تتعلق بأحكام الطلاق القائمة على التسليم لأوامر الله، إلا أنه يُشكل على هذا التخصيص أن السورة مدنية[٢]، والخطاب في المدني يتوجَّه للمؤمنين، وهم المصدقون لأوامر الله.

النتيجة:

أن مراعاة موضوع الآيات من أسباب التخصيص اللفظي في القرآن الكريم، مما يعود على تناسق الآيات وتلاؤمها؛ لأنه كلام الله الحكيم.

والآن ننتقل إلى موقف المفسرين مما ذكره الإمام الطبري.

أما ابن عطية فأتى بعبارة التشريف فقال: «وخَصَّ الذين يعلمون بالذكر تشريفًا لهم، وإذ هم الذين ينتفعون بما بُيِّن، أي نصب للعبرة من قول أو صنعة، وأما إن أردنا بالتبيين خلق البيان في القلب فذلك يوجب تخصيص الذين يعلمون بالذكر، لأن من طبع على قلبه لم يبيّن له شيء»[٣]، ونقل عنه أبو حيان[٤].

وما ذكراه من التشريف لا يدل على التخصيص وإنما يُستنبط بعد التخصيص، فبعد أن خَصَّ اللفظ بالقوم الذين يعلمون استنبطنا شرفهم وعلو قدرهم.

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن الطبري (٤/ ١٧٨).
(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ١٩٤).
(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١/ ٣٠٩).
(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٢/ ٤٨٣).



وأما الرازي فقد فصَّل القول في الذين لا يعلمون فقال: «إنما خصَّ العلماء بهذا البيان لوجوه، أحدها: أنهم هم الذين ينتفعون بالآيات، فغيرهم بمنزلة من لا يُعتدّ به، وهو كقوله: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ والثاني: أنه خصَّهم بالذكر كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ والثالث: يعني به العرب لعلمهم باللسان، والرابع: يريد من له عقل وعلم، كقوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ والمقصود أنه لا يكلّف إلا عاقلًا عالمًا بما يكلفه، لأنه متى كان كذلك فقد أُزيح عذر المكلف، والخامس: أن قوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ يعني ما تقدم ذكره من الأحكام يبينها الله لمن يعلم أن الله أنزل الكتاب وبعث الرسول، ليعلموا بأمره وينتهوا عما نُهوا عنه»[(١)].

فنلاحظ أن الرازي قسَّم الذين يعلمون إلى عدة احتمالات:

الأول والثاني: متوجّه.

والثالث: يذهب برونق الآية؛ إذ مثله لا يُقصد في الآيات، فلم يُعهد إطلاق أهل العلم على العرب، بل المعروف عكس ذلك من وصفهم بالأميين.

وأما تكليف العاقل، وأنه من شروط فهم الخطاب وأدائه، وهو المحتمل الرابع، فإضافةً لبعده عن معنى الآية فليس هذا خاصًّا بهذه الآية دون غيرها حتى يُعدّ خصيصة لفظية.

وأما الخامس من احتمالات الرازي فإنه يجعل الخطاب في قوله: (يبينها) متوجهًا للنبي ﷺ ولا دليل على ذلك، والأصل بقاء سياق الآية متسقًا.

أما الطاهر بن عاشور فأتى بعبارة أكثر إيضاحًا فقال: «ووُصف القوم بأنهم يعلمون صريح في التنويه بالذين يدركون ما في أحكام الله من المصالح، وهو تعريض بالمشركين الذين يعرضون عن اتّباع الإسلام، وإقحام كلمة (لقوم) للإيذان

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٦/ ٤٥١).

بأن صفة العلم سجيَّتهم وملَكَة فيهم»[١].

فالطاهر استبدل عبارة (التصديق) التي ذكرها الطبري وأتى بكلمة (المصالح) وهي مناسبة لحال أحكام الطلاق؛ إذ إنها تقوم على المصلحة، لأنها صادرة من حكيم سبحانه، وعبارة الطبري مناسبة لحال التسليم الذي تقوم عليه الأحكام.

وقد أضاف محمد رشيد رضا في المنار إضافةً توافق منهجه في التفسير الاجتماعي الذي يعالج به واقع الحياة على ضوء الآيات، فقال: «يبينها لهؤلاء الذين يعلمون الحقائق؛ لأنهم هم الذين يقيمونها، لا من يجهل ذلك، فيأخذ بظاهر قول المفتي أو القاضي، ولا يجعل لحسن النية وإخلاص القلب مدخلًا في عمله، فيرجع إلى المرأة ويضمر لها السوء ويبغيها الانتقام»[٢].

وواضحٌ أنه كان يقصد بها فقه التحايل، أو ما يمكن تسميته (التجسير الفقهي) بحيث يجعل بينه وبين ما يشتهيه جسرًا من الفتوى.

وقول صاحب المنار يرجع إلى القول بأن سبب تخصيص الذين يعلمون لأنهم الذين ينتفعون بالعلم، ويسجّل له ميزةً علمية في معالجة واقعه على ضوء القرآن الكريم.

النموذج السابع:

قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠].

قال الإمام الطبري متسائلًا عن سبب تخصيص إسلام الوجه دون سائر الجوارح فقال: «وإنما خَصَّ -جلَّ ذكره- بأمره بأن يقول: أسلمت وجهي لله، لأن الوجه

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢/ ٤٢١).
(٢) انظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا (٢/ ٣١٢).

أكرم جوارح ابن آدم عليه، وفيه بهاؤه وتعظيمه، فإذا خضع وجهه لشيء فقد خضع له الذي هو دونه في الكرامة عليه من جوارح بدنه»[(١)].

تحليل كلام الطبري:

تساؤل الطبري عن سبب تخصيص ذكر الوجه دون سائر الأعضاء وإجابته بأن سبب التخصيص هو كرامة وجه الإنسان؛ فإذا خضع الأكرم خضع ما دون في الكرامة، وكلام الطبري هنا قائم على الاستدلال العقلي؛ فإن كرامة الوجه أمرٌ يدل عليه العقل ومتفق عليه بين الأمم، وهذا يدل على أن السبب العقلي من أسباب التخصيص اللفظي في القرآن؛ إذ القرآن لا نقص فيه ولا خلل عند أصحاب العقول.

النتيجة:

أن السبب العقلي من أسباب التخصيص اللفظي في القرآن الكريم عند الإمام الطبري.

وأهل التفسير في هذه الآية لا يكادون يختلفون عن مقصد الطبري في هذا التخصيص على اختلاف بينهم في العبارة، فقد قال ابن عطية والقرطبي: «وعبَّر بالوجه إذ الوجه أشرف أعضاء الشخص وأجمعها للحواس»[(٢)]، وهو بمعنى كلام الطبري، إلا أن الطبري أحكم عبارة؛ إذ إنه بيَّن سبب تشريف الوجه على الأعضاء وفصَّل في ذلك.

أما الرازي فلم يُشِر إلى تخصيص الوجه؛ لأنه أَوَّل معناه إلى غير الوجه المعروف، فماذا قال؟ ولِمَ هذا الصنيع؟ لننظر الآن.

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٥/ ٢٨٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عاشور (١/ ٤١٤)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/ ٤٥).

قال الرازي: «أما قوله ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ ففيه وجوه:

الأول: قال الفرّاء: ﴿أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ أي أخلصت عملي لله، يقال: أسلمت الشيء لفلان، أي أخلصته له ولم يشاركه غيره. قال: ويعني بالوجه ههنا العمل، كقوله ﴿يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] أي: عبادته، ويُقال: هذا وجه الأمر، أي خالص الأمر، وإذا قصد الرجل غيره لحاجة يقول: وجَّهت وجهي إليك، ويُقال للمنهمك في الشيء الذي لا يرجع عنه: مرّ على وجهه.

الثاني: أسلمت وجهي لله، أي أسلمت وجه عملي لله، والمعنى أن كل ما يصدر مني من الأعمال فالوجه في الإتيان بها هو عبودية الله تعالى والانقياد لإلهيته وحكمه.

الثالث: أسلمت وجهي لله، أي أسلمت نفسي لله، وليس في العبادة مقام أعلى من إسلام النفس لله، فيصير كأنه موقوف على عبادته، عادل عن كل ما سواه»[(١)].

ففسَّر الوجه بالعمل والنفس، وهذا الصنيع منه لأنه يمتنع عنده الاتجاه لله، فالله ليس في جهة، ولا يمكن أن يكون مقابل العبد، فلزم تأويل التوجّه هنا، وهذا مبنيٌّ على الاعتقاد الأشعري في نفي الجهة عن الله[(٢)]، وهو فرعٌ عن الكلام في نفي العلو.

وأما الطاهر بن عاشور فوافق على شرف الوجه بقوله: «والوجه هنا الذات، عَبَّر عن الذات بالوجه لأنه البعض الأشرف»[(٣)]، ومثله الخازن[(٤)].

النموذج الثامن:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠].

---

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٧/ ١٧٤ – ١٧٥).

(٢) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، المحمود (١/ ٢٧٩)، (٣/ ١٢٣٧) وما بعدها.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٦٤٧).

(٤) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (١/ ٣٢٨).

قال الإمام الطبري مجيبًا عن سبب تخصيص الأموال والأولاد في عدم الإغناء عن الكافرين، فقال: «يعني: لن تدفع أمواله التي جمعها في الدنيا وأولاده الذين رباهم فيها شيئًا من عقوبة الله يوم القيامة إن أخَّرها لهم إلى يوم القيامة، ولا في الدنيا إن عجَّلها لهم فيها، وإنما خَصَّ أولاده وأمواله لأن أولاد الرجل أقرب أنسبائه إليه، وهو على ماله أقرب منه على مال غيره، وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره، فإذا لم يُغنِ عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الأمر فيه؛ فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم أبعد من أن تُغني عنه من الله شيئًا»[1].

تحليل كلام الطبري:

تساءل الطبري عن تخصيص الأموال والأولاد في الآية الكريمة وأجاب:

- بأن سبب تخصيص الأولاد: لأن أولاد الرجل أقرب أنسبائه إليه.
- وسبب تخصيص الأموال: لأن أمر الرجل على ماله أجوز من أمره في مال غيره، فلهذا خُصِّص لفظ الأموال والأولاد.

وبتأمّل الوجه الذي ذكره الطبري نجد أنه سبب يدل عليه العقل والعادة المطردة، والشيء الذي لم يذكره الطبري هو سبب تقديم الأموال على الأولاد، ولعل السبب يعود إلى أن الغناء ودفع الضرر بالمال أسرع وأكثر أمانًا من الغناء بالأولاد، فالأغنياء يدفعون عن أنفسهم بأموالهم، فإن لم يجدوا غناءًا فبأولادهم.

النتيجة:

نخلص من ذلك أن السبب العاديِّ والعقلي من أسباب تخصيص اللفظ القرآني؛ إذ القرآن يتلاءم مع العادة التي يسير عليها الناس.

ولننظر الآن لكلام أهل التفسير ونقارنه بما ذكره الطبري.

أما ابن عطية فعدَّد أسباب التخصيص فقال: «وخَصَّ اللهّ تعالى الأموال والأولاد

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٥/ ٧٠٣).



بالذكر لوجوه منها:

- أنها زينة الحياة الدنيا وأعظم ما تجري إليه الآمال.

- ومنها أنها ألصق النصرة بالإنسان وأيسرها.

- ومنها أن الكفار يفخرون بالآخرة لا همة لهم إلا فيها، هي عندهم غاية المرء، وبها كانوا يفخرون على المؤمنين، فذكر اللهّ أن هذين اللذين هما بهذه الأوصاف لا غناء فيهما من عقاب اللهّ في الآخرة، فإذا لم تُغنِ هذه فغيرها من الأمور البعيدة أحرى»[(١)].

وهذه الأسباب هي تفصيل لما أجمله الطبري من بيان أسباب عدم الإغناء عن الكافرين.

وأما القرطبي فقد اقتصر على قوله: «وخُصَّ الأولاد لأنهم أقرب أنسابهم إليهم»[(٢)].

ولا أعلم سبب عدم ذكره لتخصيص الأموال، مع أني تتبعتُ مواضع عدم إغناء الأموال والأولاد في القرآن عنده[(٣)].

وأما الرازي فقال: «وذلك لأن المرء عند الخطوب والنوائب في الدنيا يفزع إلى المال والولد، فهما أقرب الأمور التي يفزع المرء إليها في دفع الخطوب، فبيّن الله تعالى أن صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة الدنيا؛ لأن أقرب الطرق إلى دفع المضار إذا لم يتأتَّ

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١/ ٤٩٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/ ١٧٧).

(٣) حيث ورد في القرآن ثلاث آيات فيها عدم إغناء الأموال والأولاد عن الكافرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۚ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦] ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المجادلة: ١٧].

في ذلك اليوم فما عداه بالتعذّر أولى»[1].

وكلام الرازي متوجّه لتخصيص الأموال والأولاد، والآية أدقّ من ذلك؛ إذ إنها تتكلم عن أموالهم وأولادهم تحديدًا، والفرق بينهما لطيف لا يؤثر، لكنه يجعل عبارة الطبري وكلامه عن أموال الكافرين وأولادهم أكثر اتصالًا بالآية، وأسباب التخصيص تقتضي تحري الدقة في العبارة.

وأما الخازن فقد قَصُرت عبارته عن ملاءمة اللفظة للآية، حيث قال: «وإنما خُصّ الأموال والأولاد بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بالفداء بالمال وتارة بالاستعانة بالأولاد»[2].

ومعلوم أن الإنسان يدفع عن نفسه بكل ما يستطيع، وقد تقرر أن الكلام في تخصيص اللفظ القرآني يقتضي الدقة والاتصال المباشر في الآية بسبب معتبر.

وأما الطاهر بن عاشور فقال: «وإنّما خصّ الأموال والأولاد من بين أعلاق الذين كفروا لأنّ الغناءَ يكون بالفداء بالمال، كدفع الديات والغرامات، ويكون بالنصر والقتال، وأوْلى مَن يدافع عن الرجل من عشيرته أبناؤه، وعن القبيلة أبناؤُها»[3]، ولم يتعرض للمال ولعل ذلك لظهوره.

النموذج التاسع:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله بعد بيانه معنى الآية: «وأما قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ فإنه خَصّ بالخبر عن ملكه يومئذٍ، وإن كان الملك له خالصًا في

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٧/ ١٥٢).

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (١/ ٢٨٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٣/ ١٧٣).

كل وقت في الدنيا والآخرة، لأنه عنى -تعالى ذكره- أنه لا منازع له فيه يومئذ ولا مدعي له، وأنه المنفرد به دون كل من كان ينازعه فيه في الدنيا من الجبابرة، فأذعن جميعهم يومئذ له به، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم في الدنيا في باطل»[١].

تحليل كلام الطبري:

ذكر الإمام الطبري سبب تخصيص ذكر الملك بيوم ينفخ في الصور، مع أنه متقرِّرٌ أن الملك لله قبل هذا اليوم وفيه وبعده، وبقراءة كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتبيَّن ما يلي:

١ـ أن الطبري ذكر سبب التخصيص بعد بيان معنى الآية، وهذا يرسخ أن منهج ذكر التخصيص اللفظي القرآني يكون بعد بيان معنى الآية.

٢ـ ذكر الطبري عددًا من الأقوال لا يترتب على أحدها سببٌ لتخصيص هذه اللفظة، فقال: «وقال بعضهم: يقول (كن) فيكون للصور خاصة، فمعنى الكلام على تأويلهم: يوم يقول للصور (كن) فيكون قوله الحق يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة»[٢].

فعلى هذا القول يكون (الْقَوْلُ) مرفوعًا بكلمة (الْحَقِّ) ويكون قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ صِلَةُ (الْحَقِّ).

وبناءً على هذا القول لا يَرِدُ سببٌ لتخصيص الْمُلك بيوم ينفخ في الصور، لأنه لا يكون متعلقًا به، وهذا من تحرير الألفاظ عند الإمام الطبري.

٣ـ سبب التخصيص في الآية حسبما ذكره الطبري هو واقع الحال، فالشأن يوم القيامة لا منازع فيه لله من الجبابرة ولا غيرهم الذين كانوا ينازعونه في الدنيا، فقد أذعن الجميع لله، فعلموا بطلان دعواهم في الدنيا.

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٩/ ٣٣٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (٩/ ٣٣٧).

النتيجة:

أن واقع الحال من أسباب تخصيص اللفظ القرآني؛ إذ إن القرآن متناسب متناسق في ألفاظه وواقعه.

وقد توافقت كلمة المفسرين على معنى كلام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ وإن اختلفت عباراتهم.

فقال الرازي: «فإن قال قائل: قول الله حق في كل وقت، وقدرته كاملة في كل وقت، فما الفائدة في تخصيص هذا اليوم بهذين الوصفين؟ قلنا: لأن هذا اليوم هو اليوم الذي لا يظهر فيه من أحد نفع ولا ضر، فكان الأمر كما قال سبحانه: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ فلهذا السبب حَسُن هذا التخصيص»[(١)].

وأما الطاهر بن عاشور فقال: «في تقديم المسند إليه على المسند قصرُ المسند إليه على المسند، أي المُلك مقصور على الكَون له لا لغيْره، لردّ ما عسى أن يطمع فيه المشركون من مشاركة أصنامهم يومئذٍ في التصرفّ والقضاء، والمقصود من هذا الظرف تهويل ذلك اليوم»[(٢)].

إلا أن أبا السعود -وهو ذو عناية باللطائف القرآنية والاهتمام بأسباب تخصيص الألفاظ- قصَّر العبارة هنا، فقال: «تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الأوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية»[(٣)].

ولو أنه حرَّر عبارته عن المجازية لكان أفضل سبكًا.

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي (١٣/ ٢٧ – ٢٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٧/ ٣٠٨).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود (٣/ ١٥١).

النموذج العاشر:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قال لنا قائلٌ: وكيْف جعل لكُم سرَابِيلَ تَقيكُم الحَرَّ، فَخَصَّ بالذِّكر الحَرَّ دون البرد، وهي تَقِي الحَرَّ والبَرَدَ؟ أمْ كيْف قِيل: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ وترك ذكر ما جعل لهم من السهل؟ قيل له: قد اختُلف في السبب الذي من أجله جاء التنزيل كذلك، وسنذكر ما قيل في ذلك، ثم ندل على أولى الأقوال في ذلك بالصواب»[١].

ثم ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول عطاء: «إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم، ألا ترى إلى قول الله تعالى ذكره: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب جبال، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾! وما جعل لهم من غير ذلك أعظم منه وأكثر، ولكنهم كانوا أصحاب وَبَر وشَعر، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ يُعَجِّبُهُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ ومَا أَنْزَلَ مِنَ الثَّلْجِ أعْظَم وأكْثَر، ولكِنَّهُمْ كانوا لا يَعْرِفُون بِهِ، ألَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ وما تقي من البرد أكثر وأعظم؟ ولكنهم كانوا أصحاب حر»[٢].

ثم ذكر الطبري القول الآخر فقال: «وقال آخرون: ذكر ذلك خاصة اكتفاء بذكر أحدهما من ذكر الآخر، إذ كان معلومًا عند المخاطبين به معناه، وأن السرابيل التي تقي الحر تقي أيضًا البرد، وقالوا: ذلك موجود في كلام العرب مستعمل»[٣].

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٤/ ٣٢٤).
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.



أطلت في هذا النقل لأنه مهم حيث يسجّل لنا النقاط التالية:

١ـ أن البحث في أسباب تخصيص لفظ معين في القرآن أو ذكر شيء دون آخر مما تناوله السلف بالبحث والنظر، فالاهتمام بهذا الفن كان معتبرًا عند المتقدمين.

٢ـ أن الطبري ذكر سبب التخصيص بعدما بيَّن معنى الآية كما مرَّ معنا في هذه الآية والآيات السابقة.

٣ـ أن الطبري ذكر تخصيصين في هذه الآية، وهما:

- تخصيص ذكر سرابيل الحر دون البرد.
- تخصيص الأكنان في الجبال دون فوائد السهل مع أنها أكثر.

٤ـ رجَّح الطبري أن سبب التخصيص في اللفظين أن القوم خُوطبوا على قدر معرفتهم ومراعاة لأحوالهم، ولهذا قال الطبري: «إن القوم خُوطبوا على قدر معرفتهم، وإن كان في ذكر بعض ذلك دلالة على ما ترك ذكره لمن عرف المذكور والمتروك، وذلك أن الله -تعالى ذكره- إنما عدَّد نعمه التي أنعمها على الذين قُصدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم، فذكر أياديه عندهم»(١).

النتيجة:

أن مراعاة حال من قُصِد بالخطاب من أسباب تخصيص اللفظ القرآني؛ إذ القرآن الكريم يراعي في ألفاظه أفهام الناس المخاطبين.

وأما علماء التفسير فلم تختلف عباراتهم أيضًا في هذا الموضع عن عبارة الطبري مع بعض الإضافات التي لا تخلو من فائدة(٢)، وسأقتصر على من أضاف على كلام الطبري.

فمنهم الماوردي، فقد ذكر الأوجه التي ذكرها الطبري، وأضاف لها وجهًا لا

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٤/ ٣٢٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٣/ ٤١٢)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ١٥٩)، والتفسير الكبير، الرازي (٢٠/ ٢٥٣)، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٣/ ٩٢).

يخلو من تكلف، فقال: «وذكر الحرَّ دون البرد تحذيرًا من حر جهنم ، وتوقيًا لاستحقاقها بالكف عن المعاصي»[(١)].

ولعل ذلك صالحٌ لأن يكون مثالًا على التفسير بالإشارة إذ هو عزيز الأمثلة.

والطاهر ابن عاشور كعادته في الإبداع يذكر ما ذكره الطبري ثم يضيف له سببًا آخر فقال: «وخصَّ الحرّ هنا لأنه أكثر أحوال بلاد المخاطبين في وقت نزولها، على أنه لما ذكر الدفء في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾ ذكر ضدّه هنا»[(٢)].

فالإضافة المميزة للطاهر هي الربط بين أول السورة وأوسطها، فلما ذكر في أول السورة الدفء من البرد، ناسب أن يذكر في وسطها على سبيل الامتنان ذكر الاتقاء من الحرِّ، وبهذه الإضافة المميزة نستطيع القول بأن تناسق الآيات في السورة الواحدة من أسباب تخصيص اللفظ القرآني.

النموذج الحادي عشر:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قال الإمام الطبري متسائلًا عن سبب تخصيص حياة كل شيءٍ حيٍ بالماء، مع أن النظر يدل على أن الأشجار والنبات وغيرها تحيا بالماء، فما سبب تخصيص الأشياء الحية بالذكر؟ فقال: «فإن قال قائل: وكيف خَصَّ كل شيء حي بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يُقال له حي ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهن،

(١) انظر: النكت والعيون، الماوردي (٣/ ٢٠٦).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٤/ ٢٤٠).

وأن في ذوات الأرواح أرواحًا، فلذلك قيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾»[1] .

تحليل كلام الطبري:

تساؤل الإمام الطبري عن سبب تخصيص لفظ الأحياء بعد بيانه معنى الآية يدل على أن بعض التخصيص يُبنى على فهم خاطئ، فالسؤال الذي ذكره الطبري هو مبنيٌّ على فهم مغلوط للآية، فالسائل على افتراض وجوده ظنَّ أن قوله: (حَيٍّ) خاص بذوات الأرواح دون غيرها، وعلى هذا بنى سؤال التخصيص، فبيَّن الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا الفهم غير صحيح، وأن لكل شيءٍ حياته الخاصة به، وعلى هذا لا يكون للآية مدخل في التخصيص.

النتيجة:

إن تخصيص اللفظ في القرآن يجب أن يكون مبنيًّا على معنى صحيح، ولا يكون التخصيص إلا بعد اكتمال المعنى للآية، وعلى هذا فلسنا بحاجة للنظر في كلام أهل التفسير؛ إذ إنها لا مدخل لها في باب الاختصاص.

النموذج الثاني عشر:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: ٤٨ - ٤٩].

يتساءل الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سبب تخصيص هؤلاء النفر التسعة في الإفساد في الأرض، مع أن أهل الكفر كلهم مفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، فقال: «يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح -وهي حِجْر ثمود- تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض كفرهم بالله ومعصيتهم إياه، وإنما خصَّ الله -جل ثناؤه- هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٦/ ٢٦٠).



في الأرض ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا - فيما بلغنا - في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود، وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا»[(١)].

تحليل كلام الطبري:

بالنظر لكلام الإمام الطبري وتساؤله حول تخصيص هؤلاء التسعة النفر بكونهم يفسدون في الأرض، وإجابته التي بيَّن فيها أن سبب التخصيص هو سعي هؤلاء النفر التسعة في عقر الناقة، والتحالف على قتل نبي الله صالح عليه السلام وقد اعتمد الطبري في ذلك على الروايات التي ذكرت ذلك تعاونهم على قتلها في سورة الأعراف من طريق ابن عباس ومجاهد السدي وقتادة[(٢)].

النتيجة:

أن إجماع السلف على رواية سبب معيَّن تكشف لنا سبب التخصيص اللفظي في الآية، إذ إن أقوال السلف إذا اجتمعت على قصة فإنها تدل على أن لها أصلًا.

وأما المفسرون فقد وافقوا الطبري على أن المراد بالتسعة هم عاقر الناقة ومن معه[(٣)]، وأن سبب تخصيصهم لعظم إفسادهم وكبير جُرمهم، إلا أن الطبري زاد عليهم بالاعتماد على الرواية والسند؛ إذ إن إفسادهم وتفصيل مؤامرتهم على الناقة أمرٌ غيبي يُنقل بالسند.

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٨/ ٨٩).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٢٨٤ - ٢٨٧)، (١٤/ ١٣٣)، (١٧/ ٦٢٤)، (١٨/ ٨٨-٨٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٣/ ٢٦٣)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٣/ ٢١٥)، ولباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٣/ ٣٤٩)، والبحر المحيط، أبو حيان (٧/ ٨٠).

النموذج الثالث عشر:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾ [الروم: ١٥].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا سبب تخصيص ذكر الروضة دون غيرها من النعيم فقال: «وإنما خصَّ -جل ثناؤه- ذكر الروضة في هذا الموضع؛ لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرًا، ولا أطيب نشرًا من الرياض، ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشى بني ثعلبة:

وما روضة من رياض الحسن معشبة	خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق	مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بالطيب منها نشر رائحة	ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

فأعلمهم بذلك تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأراييح، والعيش الهني فيما يحبون، ويُسرّون به، ويُغبطون عليه»[(١)].

تحليل كلام الطبري:

بالنظر لكلام الطبري وذكره لتخصيص لفظ الروضة في الآية دون غيره من النعيم واستشهاده على ذلك بأبيات من الشعر، نستنتج ما يلي:

١ـ تأكيد الطبري على فقه تخصيص الألفاظ القرآنية.

٢ـ ذكر المبرِّر المعتبَر لتخصيص اللفظة.

وقد خصّص الطبري لفظة الروضة لأن النفس البشرية تحب رؤية منظر الروضات وتأنس برائحتها.

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٨/ ٤٧٠).

النتيجة:

أن من أسباب التخصيص اللفظي عند الطبري طبيعة النفس البشرية؛ لأن القرآن يتناغم مع طبائع النفوس.

ولننظر الآن لكلام علماء التفسير ونقارنه بكلام الطبري في هذه الخصيصة اللفظية.

أما ابن عطية في محرره فقد قارب الطبري حتى أنه أورد بيت الأعشى وزاد عليه بيتًا لكثير، فقال: «وذكر تعالى الروضة لأنها من أحسن ما يُعلم من بقاع الأرض، وهي حيث اكتمل النبت الأخضر وجَنَّ، وما كان منها في المرتفع من الأرض كان أحسن، ومنه قول الأعشى:

وما روضة من رياض الحسن معشبة   خضراء جاد عليها مسبل هطل

ومنه قول كثير:

فما روضة طيبة الثرى   تمج الندا جثجاثها وعرارها[1]

وأما الماوردي والقرطبي وأبو حيان فقيّدوها بإعجاب العرب بالروضات، فقال أبو حيان: «والروضة مما تعجب العرب، وقد أكثروا من مدحها في أشعارهم»[2].

وعلى كلامهم بإعجاب العرب بها فهو تخصيص بسبب عام، وكلام الطبري أدق؛ إذ إنه ربط التخصيص بالنظر عامةً لكل عين، وجعله من دواعي سرور النفس البشرية.

النموذج الرابع عشر:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (٤/ ٣٣٢).

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٨/ ٣٨٢)، والنكت والعيون، الماوردي (٤/ ٣٠٢)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/ ١٣).

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

قال الإمام الطبري متسائلًا عن سبب تخصيص الآيات للصبَّار الشكور: «إن قال قائل: وكيف خَصَّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبار الشكور دون سائر الخلق؟ قيل: لأن الصبر والشكر من أفعال ذوي الحِجا والعقول، فأخبر أن في ذلك لآيات لكل ذي عقل، لأن الآيات جعلها الله عبرا لذوي العقول والتمييز»[(١)].

تحليل كلام الطبري:

تساءل الطبري عن تخصيص الآيات والعبر للصبَّار الشكور دون غيرهم من أصحاب درجات الإيمان، ثم أجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن سبب ذلك يعود إلى أن من تحلَّى بالصبر والشكر فقد تحلّى برجحان العقل، والمقصود من الآيات والدلائل أن تكون برهانًا لذوي العقول دون غيرهم إذ إنهم يفكرون ويتأملون فيعملون.

وقد اعتمد الطبري في هذا الاستنتاج على دليلٍ عقلي؛ إذ إنه من المتقرر أن الآيات والدلائل جعلها الله عبرةً لذوي العقول، ويدل على تقرر هذا الأمر دليلان شرعي وعقلي:

أما الدليل الشرعي فقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وقوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩] وقوله: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فأولو العقول هم الذين يؤمَّل عليهم التذكر من الآيات الشرعية والكونية.

وأما الدليل العقلي فأهل العقول تميَّزوا برُجحان عقولهم وتفكرهم بما يحدث لهم ومِن حولهم، وهم المؤمَّلون لأخذ العبر والدروس من الدلائل الشرعية، فلما تقرر

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١٨/ ٥٧٨).

أن أهل العقول هم المعنيون بالآيات والدلائل يصبح قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لاكتمال عقولهم ورجحانها.

والملاحظ أن الطبري ذكر سبب تخصيص الآيات لكل صبَّار شكور ولم يتعرض لسبب تقديم الصبر على الشكر، وكذلك لم يذكر سبب العدول عن صيغة المبالغة (صبور) مثل (شكور) إلى (صبَّار) وتقديم الصبَّار على الشكور، ويظهر لي أن منزلة الشكر لا تكون إلا بعد منزلة الصبر، فمن صَبَّرَ نفسَه على هدى من الله حتى اعتادت نفسه الصبر ورضيَت به؛ ارتقى لمنزلة الشكر، وذلك حين تطمئن نفسه بما كتب الله بحيث يندرج صبره في تمام شكره.

أما صيغة المبالغة (صبَّار) دون (صبور) فيعود إلى طبيعة الصبر التي تحتاج لمجاهدةٍ ومصابرة للنفس؛ إذ إن الصبر هو خلاف مطلوب النفس، مما يجعله شاقًّا، فيستلزم اجتهادًا وبذلًا للوُسع، ولهذا جاءت (الشدَّة) في كلمة (صبَّار) التي تدل على معنى المجاهدة واستيعاب الوُسع من الطاقة.

النتيجة:

أن السبب العقلي الصحيح من أسباب التخصيص اللفظي، وتقييده بالصحيح يعني ارتباطه بالدليل المعتبر.

ولننظر الآن في كلام المفسرين ونقارنه بما ذكره الطبري.

ونبدأ بابن عطية حيث قال: «وقوله: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إنما أراد: لكل مؤمن ناظر لنفسه، فأخذ من صفات المؤمن صفتين تجمع أكثر الخصال وتعمّ أجمل الأفعال» [(١)].

وعبارته مع واقعيتها في النظر إلا أنها تحتاج إلى بيان من حيث اشتمال صفة الصبر والشكر على أكثر الخصال وأجمل الأفعال، وهو ما استدركه ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير آيات الكتاب العزيز، ابن عطية (٣/ ٣٢٤).



موطن آخر عند آية سورة لقمان، فقال: «وذكر تعالى من صفة المؤمن الصبار والشكور لأنهما عظم أخلاقه الصبر على الطاعات وعلى النوائب وعلى الشهوات، والشكر على الضراء والسراء»[(١)].

وظاهر أن قوله: (تجمع أكثر الخصال) عائدٌ إلى الصبر، كما أن قوله: (تعم أجمل الأفعال) عائدٌ إلى الشكر.

وأما القرطبي فلم يبعُد عن عبارة الطبري واستفاد من عبارة ابن عطية، فقال: «والآية: العلامة، والعلامة لا تستبين في صدر كل مؤمن، إنما تستبين لمن صبر على البلاء وشكر على الرخاء»[(٢)].

أما الرازي فأثار تساؤل تخصيص اللفظ ثم أجاب عنه فقال: «فإن قيل: إن ذلك التذكيرات آيات للكل، فلماذا خصَّ الصبار الشكور بها؟ قلنا: فيه وجوه:

الأول: أنهم لما كانوا هم المنتفعون بتلك الآيات صارت كأنها ليست آيات إلا لهم، كما في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾.

والثاني: لا يبعد أن يُقال: الانتفاع بهذا النوع من التذكير لا يمكن حصوله إلا لمن كان صابرًا أو شاكرًا، أما الذي لا يكون كذلك لم ينتفع بهذه الآيات» [(٣)].

وفي الحقيقة لَم يُجِب الرازي عن سبب التخصيص؛ إذ لا يزال السؤال قائمًا لم يرتفع، فعلى الوجه الأول: لِم كان الصبَّار الشكور هو المنتفع دون غيره؟ وعلى الوجه الثاني أيضًا: لِم لا يمكن حصول الانتفاع إلا للصبَّار الشكور؟ والملاحظ أن الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم ينشط في هذه الآية لإيراد سبب التخصيص[(٤)].

أما الطاهر بن عاشور فله موقف مختلف لما قرَّره الطبري من تخصيص الصبَّار

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير آيات الكتاب العزيز، ابن عطية (٣/ ٣٥٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٤/ ٧٩).

(٣) انظر: التفسير الكبير، الرازي (١٩/ ٦٥).

(٤) من خلال قراءتي في كتب التفسير والاستفادة بين العلوم، فمن المناسب بحث النشاط والكسل عند المفسر كما هو الحال عند المحدثين، كما يقرره مصطلح الحديث.

الشكور، فقال: «ولكون الآيات مختلفة، بعضها آيات موعظة وزجر، وبعضها آيات مِنَّة وترغيب، جُعلت متعلقة بكل صبَّار شكور؛ إذ الصبر مناسب للزجر، لأن التخويف يبعث النفس على تحمّل معاكسة هواها خِيفة الوقوع في سوء العاقبة، والإنعام يبعث النفس على الشكر، فكان ذكر الصفتين توزيعًا لما أجمله ذكر أيام الله من أيام بؤس وأيام نعيم»[١].

فالطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ راعى سياق الآية، حيث قال الله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ وأيَّام الله تتنوع ما بين البؤس والنعيم المقتضيَيْنِ للصبر والشكر، فالطاهر راعى سياق الآية.

وهنا يطرأ سؤال: هل استمر الطاهر بن عاشور على مراعاة السياق في الآيات التي ورد فيها ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؟ لننظر في ذلك.

- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١] قال ابن عاشور في سبب تخصيص الصبَّار الشكور: «ووجه إيثار خُلُقَي الصبر والشكر هنا للكناية بهما من بين شعب الإيمان، أنهما أنسب بمقام السير في البحر، إذ راكب البحر بين خطر وسلامة، وهما مظهر الصبر والشكر»[٢].

- وقال تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩] قال ابن عاشور في التخصيص: «والجمع بين صبار وشكور في الوصف لإفادة أن واجب المؤمن التخلق بالخُلُقين، وهما: الصبر على المكاره، والشكر على النعم، وهؤلاء المتحدَّث عنهم لم يشكروا النعمة فيُطروها، ولم يصبروا على ما أصابهم من زوالها،

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣/ ١٩٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢١/ ١٩٠).

فاضطربت نفوسهم وعمَّهم الجزع، فخرجوا من ديارهم وتفرقوا في الأرض، ولا تسأل عما لاقوه في ذلك من المتالف والمذلات، فالصبّار يَعْتَبِر من تلك الأحوال، فيعلم أن الصبر على المكاره خير من الجزع، ويرتكب أخفَّ الضرين، ولا يستخفّه الجزع، فيُلقي بنفسه إلى الأخطار ولا ينظر في العواقب، والشكور يعتبِر بما أُعطي من النعم فيَزداد شكرًا لله، تعالى، ولا يبطر النعمة ولا يطغى فيُعاقبَ بسلبها كما سُلبت عنهم، ومن وراء ذلك أن يَحرمهم الله التوفيق وأن يقذف بهم الخذلانُ في بنيّات الطريق»[١].

- قال تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣] قال الطاهر: «وجُعل ذلك آيةً لكل صبّار شكور لأن في الحالتين خوفًا ونجاة، والخوف يدعو إلى الصبر، والنجاةُ تدعو إلى الشكر، والمراد: إن في ذلك آيات لكل مؤمن متخلّق بخلُق الصبر على الضرّاء والشكرِ للسرّاء، فهو يعتبر بأحوال الفُلْك في البحر اعتبارًا يقارنه الصبر أو الشكر» [٢].

فنلاحظ في كل المقاطع القرآنية السابقة أن الطاهر بن عاشور كان منضبطًا في مراعاة سياق الآيات وتخصيصها بالصبَّار الشكور[٣]، فتخصيص لفظ الصبار الشكور كان الطبري أعمق إحكامًا، وتخصيص الطاهر بن عاشور أكثر اتساقًا مع مواضع الآيات.

النموذج الخامس عشر:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سبب تخصيص استعاذة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الذي لا يؤمن

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٢/ ١٨٠).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢٥/ ١٠٦).
(٣) من المباحث الغنية بالمعلومات تتبع تخصيصات الطاهر بن عاشور لألفاظ القرآن في تفسيره.

بيوم الحساب: «وإنما خصَّ موسى، صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب؛ لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقًا لم يكن للثواب على الإحسان راجيًا، ولا للعقاب على الإساءة وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفًا، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة»[(١)].

تحليل كلام الطبري:

بيَّن الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ سبب تخصيص استعاذة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الشخص الذي لا يؤمن بيوم الحساب، وهو أن من لا يؤمن بيوم القيامة فإنه لا يرجو ثوابًا ولا يخاف عقابًا، وذلك لأن للإيمان باليوم الآخر أثرًا على السلوك والتعامل، وهذا الأثر ثابت بأدلة الشرع، ومن ذلك:

- قوله تعالى في شأن المطلقات: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

- قوله تعالى في شأن الإنفاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[البقرة: ٢٦٤].

- قوله تعالى في شأن طاعة الله ورسوله وأولي الأمر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

- قوله تعالى في شأن عُمّار المساجد: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [التوبة: ١٨].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢٠/ ٣١٠).

- قوله تعالى في إقامة الحدود الشرعية: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ [النور: ٢].

وغير ذلك من الأدلة التي تبيّن أثر الإيمان باليوم الآخر على حياة الإنسان، فمن افتقد الإيمان بيوم القيامة فإن كثيرًا من أفعاله يصيبها خلل، ويدخل الكبر في قلبه، ويرتكب أسوأ الأفعال.

والملاحظ أن الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يذكر سبب تخصيص المتكبر في قوله: ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾، واقتصر على سبب تخصيص عدم الإيمان بيوم الحساب، وتخصيص المتكبر ظاهر في أن من كان في قلبه كبرٌ فإنه امتلأ قسوة وشدة، وتُنزع الرحمة من قلبه، إذ الرحمة قرينة التواضع، ولعل ظهور هذا الأمر هو السبب وراء ترك الطبري له، والله أعلم.

النتيجة:

أن السبب الشرعي من أسباب التخصيص اللفظي في آيات القرآن؛ إذ إن القرآن متشابه الآيات، فما تقرره آيات القرآن في موضع تثبته آيات أخرى.

ولننظر الآن لكلام علماء التفسير ومدى موافقتهم لتخصيص الطبري.

الملاحظ أن علماء التفسير، ممن ذكر سببًا للتخصيص في هذه الآية، جمع بين التكبر وعدم الإيمان باليوم الآخر، ولم يقتصر على أحدهما.

فأما الزمخشري فقد أحسن الصياغة بقوله: «لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبّر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلاّ ارتكبها»(١).

وهي صياغة محكمة شمل فيها الزمخشري تخصيص المتكبر والذي لا يؤمن بيوم الحساب، فزاد على الطبري ما لم يذكره، رحم الله الجميع.

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٤/ ١٦١).



وأما الرازي[١] فقال: «الموجِب للإقدام على إيذاء الناس أمران:

أحدهما: كون الإنسان متكبرًا قاسي القلب.

والثاني: كونه منكرًا للبعث والقيامة، وذلك لأن المتكبر القاسي قد يحمله طبعه على إيذاء الناس، إلا أنه إذا كان مقرًّا بالعبث والحساب صار خوفه من الحساب مانعًا له من الجري على موجِبِ تكبُّرِه، فإذا لم يحصل عنده الإيمان بالعبث والقيامة كانت الطبيعة داعية له إلى الإيذاء والمانع، وهو الخوف من السؤال والحساب، زائلًا، وإذا كان الخوف من السؤال والحساب زائلًا فلا جَرَم تحصل القسوة والإيذاء»[٢].

وصياغة أبو حيان بمثل ما قرره الزمخشري، مع اختلاف الصياغة، حيث قال: «و ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ يشمل فرعون وغيره من الجبابرة؛ وكان ذلك على طريق التعريض وكان أبلغ، والتكبر تعاظم الإنسان في نفسه مع حقارته، لأنه يفعل ولا يؤمن بيوم الحساب أي بالجزاء، وكان ذلك آكد في جراءته، إذ حصل له التعاظم في نفسه، وعدم المبالاة بما ارتكب»[٣].

ولا شك أن عبارة الزمخشري أتقن وأخصر وأدلُّ على المقصود.

وعبارة الطاهر أقرب لعبارة الزمخشري، وكأنه صاغها منها، فقال: «لأنه إذا اجتمع في المرء التجبر والتكذيب بالجزاء، قَلَّت مبالاته بعواقب أعماله، فكملت فيه أسباب القسوة والجرأة على الناس»[٤].

(١) هذا من المواضع التي نشط الرازي فيها لذكر اللطائف والتخصيصات، وقد لاحظت أن الرازي تظهر عنده ظاهرة النشاط والكسل – كما أسماها المحدثون – كثيرًا، وهذا أمر يحتاج إلى بحث، ويعرف من خلال المقارنة بين كلام المفسرين المتشابهين في الطريقة، كالرازي مع الطاهر مثلًا، والزمخشري مع ابن عطية أيضًا، وهكذا.

(٢) انظر: التفسير الكبير، الرازي (٢٧/ ٥٠٨).

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (٩/ ٢٥١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٧/ ١٢٧).

وعبارته قريبة من عبارة الطبري، لكنها أشمل؛ حيث ذكر تخصيص جمع موسى عليه السلام في استعاذته بين المتكبر والذي لا يؤمن بيوم الحساب.

النموذج السادس عشر:

قوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

قال الطبري رحمه الله مبينًا سبب تخصيص الأبصار بالخشوع دون سائر الجوارح: «وإنما وصف، جل ثناؤه، بالخشوع الأبصار دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل وعزة كل عزيز تتبيَّن في ناظريه دون سائر جسده، فلذلك خصَّ الأبصار بوصفها بالخشوع»[١].

تحليل كلام الطبري:

بيَّن الطبري رحمه الله سبب تخصيص الأبصار بالخشوع دون سائر الأعضاء والجوارح، وذلك جريًا على العادة التي فطر الله الناس عليها، بأن أثر الذلة والعزة إنما تظهر على الأبصار أكثر من غيرها، واكتفى الطبري رحمه الله بتقرير هذا التخصيص في هذه الآية دون غيرها من الآيات، كقوله تعالى: ﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٣] وقوله: ﴿خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٤] ويظهر أن الطبري يكتفي بموضع واحد لبيان التخصيص ويحيل بقية المواضع عليه.

وبالنظر لكلام علماء التفسير في هذا الموضع نجدهم وافقوا الطبري على سبب التخصيص.

فقال ابن عطية: «وخصَّ الأبصار بالخشوع لأنه فيها أظهر منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في نفس الإنسان، من حياء أو صلَف أو خوف ونحوه،

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (٢٢/ ١١٧).

إنما يظهر في البصر»[١].

ووافقه الزمخشري[٢]، والطاهر بن عاشور[٣]، والقرطبي[٤]، وأبو حيان[٥]، والثعالبي[٦]، والبقاعي[٧]، والشوكاني[٨].



(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية (١٠/ ٢٤٨).
(٢) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٤/ ٤٣١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٧/ ١٧٧).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧/ ١٢٥).
(٥) انظر: البحر المحيط، أبو حيان (١٠/ ٣٧).
(٦) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي (٥/ ٣٣٦).
(٧) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (١٩/ ١٠٠).
(٨) انظر: فتح القدير الجامع بين فَنَّيْ الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني (٥/ ١٤٤).

المبحث الرابع

أسباب التخصيص اللفظي عند الطبري

بعد هذه الجولة في كلام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ وما أبدع من بيان أسباب تخصيص بعض الألفاظ القرآنية؛ سأذكر جملة من الأسباب التي استند عليها الطبري في تخصيص اللفظة القرآنية بالذكر، وهي:

السبب الأول: مراعاة سياق الآيات من أسباب تخصيص اللفظ في القرآن:

يعتمد فهم النص القرآني على مجموعة من العوامل والمعالم، ويُعدُّ السياق من أهمها، فعلى المفسر أن يراعي المفسر عند تفسيره للفظة السياق، فلا يختار إلا ما يتناسب معه، بل بلغ من أهمية السياق عند المفسرين ان السياق من أوجه الرد لبعض الأقوال الباطلة.

وقد سبق في البحث أن الإمام الطبري ذكر أن سبب تخصيص السمع والبصر في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠]. كان مراعاة للسياق، فقال: «وَإِنَّمَا خَصَّ، جَلَّ ذِكْرُهُ، السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ بِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَذْهَبَهَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ، دُونَ سَائِرِ أَعْضَاءِ أَجْسَامِهِمْ، لِلَّذِي جَرَى مِنْ ذِكْرِهَا فِي الْآيَتَيْنِ، أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ وَقَوْلَهُ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ فَجَرَى ذِكْرُهَا فِي الْآيَتَيْنِ عَلَى وَجْهِ الْمَثَلِ»[(١)].

وفي نفس الآية يُـخصص القرطبي صفة القدرة من بين سائر صفات الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لذات السبب الذي لأجله خصصها الطبري وهو: مراعاة سياق الآيات فقال: «وإنما خصَّ هنا تعالى صفته التي هي القدرة

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١/ ٣٨١).

بالذكر دون غيرها، لأنه تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك»(١).

وكثير من الآيات التي تختم بصفة من صفات الله، فإن تخصيص تلك الصفة من بين سائر صفات الله يعود لمراعاة سياق الآية، ومن ذلك:

- صفة القدرة في قوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

فتخصيص القدرة دون بقية صفات الله لأنه هو القادر على أن يمسَّك بضر وهو القادر على دفعه عنك، وهو القادر على إيصال الخير إليك، وأنه لا يقدر على ذلك إلا هو فاتخذه وليًا وناصرًا ومعينًا، فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وإيصال الخير(٢).

السبب الثاني: أن الخبر الصحيح من أسباب التخصيص اللفظي عند الطبري:

هذا من خصائص التفاسير التي تعتمد على المأثور؛ لأنه يقوم على الآثار، فمثلًا: قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

أثار الطبري سؤالًا عن سبب تخصيص وقود نار جهنم الناس والحجارة فقال: «فإن قال قائل: وكيف خصت الحجارة فقرنت بالناس حتى جعلت لنار جهنم حطبا؟ قيل: إنها حجارة الكبريت، وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حرًّا إذا أحميت»(٣).

فقوله: «فيما بلغنا» هي الآثار التي ذكرها عن السلف(٤).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/ ٢٢٤).

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٢/ ١٠٢)

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري (١/ ٤٠٣).

(٤) المصدر السابق.



فالطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجعل سبب تخصيص الحجارة بأنها نوع خاص من الحجارة وهي حجارة الكبريت إذ إنها أشد اشتعالًا وأقوى حرارة، والمستند في ذلك الآثار التي وردت عن السلف رحمهم الله.

السبب الثالث: أن مراعاة حال المخاطبين من أسباب تخصيص اللفظ في القرآن:

نزل القرآن مخاطبًا الناس بما يعلمونه، وهذا سببٌ لتخصيص بعض الألفاظ القرآنية، فمثلًا:

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

فسبب تخصيص الإبل والسماء والجبال؟

فإننا سنجد أن ذلك مراعاة لما جرى عليه الإلف والعادة بالنسبة إلى المخاطَبين في البادية، حيث يعتمدون في معايشهم على الإبل، فتنصرف عنايتهم إليها، ولا يتأتَّى لهم ذلك إلا بالماء الذي يُنبت المرعى وتَرِده الإبل، وهذا يكون بنزول المطر، وهو سبب تقلّب وجوههم في السماء، ثم لا بد لهم من مأوى يتحصّنون به ولا شيء أمنع كالجبال، وهم يطلبون الكلأ والماء فيرحلون من أرض ويهبطون أخرى، ويتنقلون من مرعًى أجدب إلى مرعًى أخصب، فإذا سمع أهل البادية هذه الآيات خالطت شغاف قلوبهم بما هو حاضر لا يغيب عن أذهانهم(١).

(١) مباحث في علوم القرآن، القطان (ص٩٨).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا أجمعين، وبعد:

فبعد هذه الجولة الإيمانية حول تدبر تخصيص اللفظ القرآني في تفسير الإمام الكبير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإني توصلت للنتائج التالية:

١. أن التخصيص اللفظي من أبواب التدبر التي تحتاج إلى كثرة بحث وطرق وتنقيب.

٢. أن التخصيص اللفظي لألفاظ القرآن من أوجه إعجازه.

٣. أن للتخصيص اللفظي أسبابًا عند المفسرين، ومن أسبابها عند الطبري ما يلي:

السبب الأول: مراعاة سياق الآيات.

السبب الثاني: مراعاة الخبر الصحيح المخصص.

السبب الثالث: مراعاة حال المخاطبين.

السبب الرابع: مراعاة موضوع الآيات.

السبب الخامس: مراعاة السبب العقلي الصحيح، ومثله مراعاة العادة البشرية الفطرية.

وأختم البحث بالتوصية بدراسة موضوع التخصيص اللفظي في كتب التفسير، ومن أولاها تفسير الكشاف والتفسير الكبير والتحرير والتنوير، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.





فهرس المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (د ط) بيروت، دار إحياء التراث العربي (د ت).

٢. **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم اليمني الشافعي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، أضواء السلف، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل (د ط) بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٤. **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٥. **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (د ط) تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

٦. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٨. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩. **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، الطبعة الأولى، جدة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٠. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

١١. **مباحث في علوم القرآن**، القطان، مناع بن خليل القطان، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

١٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

١٣. **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١ – ١٩٩٠.

١٤. **المعجم الكبير**، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار النشر مكتبة ابن تيمية (د ت).

١٥. **النكت والعيون**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (د ط) بيروت، دار الكتب العلمية (د ت).

١٦. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

١٧. **تفسير القرآن الحكيم**، رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (د ط) القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

١٨. **تفسير القرآن العظيم**، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة، المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤١٩هـ.

١٩. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٠. **فتح القدير**، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني، الطبعة الأولى، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

٢١. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، تصحيح: محمد علي شاهين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٢. **لسان العرب**، ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الطبعة الثالثة، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

٢٣. **مختار الصحاح**، الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الخامسة، بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٤. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، الطبعة الرابعة، دار طيبة للنشر والتوزيع،١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٥. **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٢٦. **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٢٧. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (د ط) القاهرة، دار الكتاب الإسلامي (د ت).

فهرس الموضوعات



